



الكتاب العربي السعودي ٩٣

ابراهيم هاشم فلالي

عمر بن أبي ربيعة

الطبعة الثانية
١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م
جدة - المملكة العربية السعودية



الكتاب العربي السعودي



ابراهيم هاشم فلالي

عمر بن أبي ربيعة

الطبعة الثانية
١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م
جدة - المملكة العربية السعودية

صدرت الطبعه الأولى من هذا الكتاب
عام ١٣٧٤هـ ـــ ١٩٥٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

الناشر
تهامة
جدة . المملكة العربية السعودية
ص.ب ٥٤٥٥ . هاتف ٦٤٤٤٤٤٤

عمر بن أبي ربيعة



تقديم

إن كتاب عمر بن أبي ربيعة يعتبر من الكتب الطريفة التي تقدم في إيجاز ترجمة دقيقة نابضة بالحياة لرائد شعر الغزل العربي ، ليس في عصره فحسب ، ولكن أيضا في جميع العصور لمتذوقي الشعر العربي ، ويكشف المؤلف عن جوانب مُضيئة في حياة عمر ابن أبي ربيعة ربما يجهلها البعض . ولقد آثر المؤلف ــ رحمه الله ــ أن يكتب عن عمر ابن أبي ربيعة الذى نشأ وترعرع بالمدينة المنورة ، مدينة الإيمان ، وعاش فترة من حياته في مكة المكرمة ، منبع الخير والنور ، وتردد عليها مراراً وهو في المدينة إذ كان شديد الحرص على ألا يغيب عن موسم الحج ما واتته الظروف . فبيئة مكة التي ولد فيها المؤلف وشب كانت مسرحا لمغامرات الشاعر الكبير عمر ، وقد جمعت بين الشاعرين آصرة العروبة الأصيلة ، هذا من بني هاشم وذاك من بني أمية ، فضلا عن لحن الأدب والشعر .

ولقد قامت شركة تهامة مشكورة باعادة نشر هذا الكتاب وكتب أخرى من مؤلفات والدنا رحمه الله . وهذا الاهتمام من تهامة ومسؤوليها لهو اهتمام بالتراث الأدبي لوطننا الغالي ، وهذا الاهتمام إنما هو دلالة ومؤشر على أننا بدأنا الاتجاه الصحيح في سبيل نشر الثقافة الحقة والأدب الرفيع لنصبح من بناة الحضارة وليس فقط من مستهلكيها ، والله من وراء القصد .

أسامة ابراهيم هاشم فلالي
١٤٠٣/٣/٢٠ هـ



مقدمة

إذا كانت الخرائب وتلال الأقذار التى امتلأ بها التاريخ مثوى العناكب والحشرات التى أفسدت علينا حياتنا الصحيحة فإن فى هذا التاريخ نفسه أدوات التطهير التى إذا أحسنا استعمالها ظفرنا بحياة صحيحة سليمة مبرأة من العيوب والأقذار .

فالماضى بكل ما حوى من صدق وكذب ، وخطأ وصواب ، وغلو واعتدال هو المادة الأساسية التى نستبين من خلالها مواقع أقدامنا ، فلا نضعها إلا على أرض صلبة ، لأننا بقراءة التاريخ نستطيع تجنب الأخطاء والتعرف على مواقع الإصابة .

ونحن الآن نعيش فى عصر واع لا يقتنع بكل ما يقوله التاريخ على أنه حقيقة لا تقبل المناقشة ، فقد مضى عصر التقديس لكل شىء ، وأصبحنا فى عصر التحليل والتشريح ، فمن كان يستحق التقديس قدسناه ، ولو نعته الماضى بأنه شيطان رجيم ، ومن لا يستحق التقديس وضعناه تحت أقدامنا ، ولو أضفى عليه الماضى كل ما لديه من هالات الإجلال والتفخيم .

ولذلك فإن من الخطأ أن نهمل الماضى ، أو نصغى لمن يقول لنا : علينا أن نذر الماضى ونتطلع للمستقبل ، إن قائل هذا لا يعنى ما يقول ، أو هو لا يتبصر ما يقول . كيف نستطيع إهمال الماضى وفيه الحجة ، ومنه الغذاء ، وفيه

الاستشارة ؟ وهل نستطيع معرفة الجديد دون أن نستعرض القديم ؟ ومن أحداث الماضى نتبصر ما سيأتى به المستقبل . وإذا كفر كل الناس بالتاريخ ، فإننا كأمة عريقة ذات أمجاد تالدة لم تخل منها بقعة من بقاع الأرض ، لا يمكننا أن نكفر بالتاريخ إلا إذا أمكننا أن نكفر بأنفسنا .

والشعب الحجازى لم يكن شعبا سطحيا أو شعبا مستحدثا ، وإنما هو شعب تأصلت جذوره فى أعماق الحضارات الإنسانية .

وإذا أخرجنا الشعب الحجازى من تاريخه أخرجناه من الوجود الإنسانى ، إذ هو فى حاضره اليوم لا يستند فى إثبات وجوده على شىء ، فاسهامه الماضى فى بناء الحضارة الإنسانية هو الذى جعل له كيانه الخالد بين الشعوب الحية ، ولا يمكن للحضارة الإنسانية الحاضرة أو المستقبلة أن تستغنى عما قدمه هذا الشعب العريق من زاد هو اللباب لكل حضارة فى أى ركن من أركان الأرض .

إذاً فلا بد لنا من الرجوع إلى الماضى . ولا بد لنا من الوقوف أمامه وقفة طويلة إذا أردنا أن نثب إلى مكاننا الطبيعى بين شعوب الأرض قاطبة ، وبقدر ما نبعد عن تأريخنا يكون بعد المسافة بيننا وبين مكاننا الذى يجب أن نتبوأه بين الناس .

إن الذين لا يحبون أن نعود إلى التاريخ يريدون منا أن نسير فى ركب الأحياء ، كما تسير الأمساخ فى (السيرك) تلك التى لا تثير فى النفوس غير الهزء والسخرية ، أو العطف والإشفاق . ثم لا شىء إلا أن ينفحونا بما تجود به أنفسهم الكريمة أو اللئيمة كأجر لما قضوه معنا من أوقات الفراغ طلبا للتسلية والترفيه .

يجب أن نعرف من نحن ؟ ولا نعرف من نحن إلا من تاريخنا ، وإذا عرفنا من نحن نعرف أى طريق نسلك ، وأى هدف نريد . وسوف لا يكون حينذاك هدفنا كهدف صاحب (السيرك) الحصول على عدد كبير من المتفرجين

ليحصل على كمية كبيرة من النقود ، كلا فسيكون هدفنا أسمى من ذلك بكثير .

دفعنى لأن أقول هذا فى مقدمة محاضرتى عن عمر بن أبى ربيعة بعض الناس الذين هم كالنعامات ليس لها خفة الطيور ، وليس لها صلابة الجمال ، ويدسون أنوفهم فى كل شىء وهم لا يحسنون صنعا ولايجملون بوجودهم مجلسا إلا مجلسهم فى حدائق الحيوان .

* * *

إن لنا خصائص ومميزات . وهذه الخصائص وتلك المميزات تكمن فى تأريخنا ، فإذا افتقدنا خصائصنا ومميزاتنا انعدمت الفائدة من وجودنا لأننا لا نستطيع بحال من الأحوال أن نفرض شخصيتنا على أحد ، أو نثبت وجودنا ــ عند اللزوم .

ونحن لا نستطيع أن نقتبس من حضارات الأمم المختلفة ما يفيدنا ، إلا إذا عرفنا ما يصلح لنا ، وما يجمل بنا ، وما يتفق مع أمزجتنا ومشاعرنا ، وموروثاتنا وتقاليدنا .

والذين يقولون لنا إن على أمزجتنا ومشاعرنا أن تتكيف بما يتلاءم وحياة العصر الحديث دون أن نتقيد بشىء من القديم ، يحكمون علينا بفناء الشخصية أو بمسخها على الأقل ، وهذا ما لا يرتضيه لأمته وشعبه ونفسه ، إلا كل من كفر بأمته وشعبه ونفسه .

نحن عرب ومسلمون . والعروبة والإسلام لا ينفران من كل حسن وصالح . ولكنهما ينفران أشد النفور من امّحاء الشخصية العربية الإسلامية واندماجها فى غيرها ، بحيث لا تصبح لها علامة فارقة تميزها عن سواها .

إن الله خلقنا شعوبا وقبائل لنتعارف مع بعض ، لا لنندمج فى بعض ، أو نفنى فى بعض . علينا ألا نتنكر لحضارة من الحضارات الإنسانية . ولكن علينا ألا نتنكر لأنفسنا أولا وقبل كل شيء . لقد قابل آباؤنا فى عصورهم الذهبية حضارات الهند والصين والرومان والفرس والمصريين ، فلم يتنكروا لها ، ولكنهم هضموها ، ثم طبعوها بطابعهم العربى الإسلامى ، فأفادوا واستفادوا ، وكذلك فعل الغرب فأخذ من حضارتنا العربية الجيد والنافع وصبغه بصبغته ووضع عليه طابعه . واحتفظ آباؤنا بشخصيتهم وأورثونا إياها وعلينا أن نتأسى بهم فنقبل على هذه الحضارة الغربية الجارفة إقبال من يعرف ما يجب أن يؤخذ ، وما يجب أن يلفظ . ولا نقسر أنفسنا على قبول ما لا يتفق وموروثاتنا ، من مباذل المدنية الغربية وما فيها من سخف وحطة ورقاعة وتضليل وغدر إلخ وبذلك نستطيع أن نسهم إسهاما فعالا فى بناء الحضارة الإنسانية ، أو فى بناء الجانب الإنسانى الرفيع المشرق فى الحضارة الإنسانية العامة ، ونورث أبناءنا والأجيال المقبلة شخصيتنا التى ورثناها عن آبائنا ، كما نورثهم بذلك مجد المساهمة فى دفع المواكب الإنسانية إلى السمو والكمال .

* * *

والآن ستجد أيها القارىء العربى المسلم قطعة من تاريخنا ، أقدمها لك فى محاضرة موجزة ألقيت فى رابطة الأدب الحديث بالقاهرة بقاعة بطل الحرية « عرابى » المفترى عليه .

وسوف تجد فى تضاعيف الحديث عن هذا الشاعر الحجازى تطورات المجتمع فى فترة من تاريخ موطننا ـــ الحجاز ـــ الذى قام بنشر الدعوة الإسلامية ، فأقام دعائم الوحدة الإنسانية على أسس قوية خالدة ونشر لواء العدالة والحرية والمساواة بين أجناس عامة البشر ، لا فرق بين أبيضهم وأسودهم ، وكيف كانت كلمات الإيثار ، والإخاء والإخلاص ، والمبدأ ، والعقيدة ، والتضحية ،

وكل المعانى الإنسانية الرفيعة ، شخصيات تسير فى الحياة وتحقق معانيها بالأعمال ، ثم كيف استحالت تلك الشخصيات إلى كلمات لا نجدها إلا فى المعاجم والقواميس . أما معانيها فلم نعد نرى لها أثراً فى الناس على كثرة من يرددون هذه الكلمات ويتشدقون بها كلما اقتضاهم أمر من الأمور الدنيا . وسوف ترى كيف تطورت حياة المجتمع الحجازى . ولعلك تعرف أسباب تطوره ولعلك تجد شبها بين تطوره فى ذلك العهد وتطوره فى العهد الحاضر . ولعلك أيضا تلمس الفارق بين التطور فى كلتا الحالتين الماضية والحاضرة ، وكيف استطاعت العبقرية الحجازية قديما أن تستفيد وتفيد من ذلك التطور فتسهم فى بناء الحضارة من الناحية الفنية ومن الناحية الفقهية . وكيف ترك تفوق آبائك الحجازيين الفنى فى الشعر والغناء والموسيقى وابتكارهم فى هذه الفنون وسبقهم الشعوب العربية كلها أثراً خالدا مازال عصرنا متأثراً به تأثراً غير منكور ، كما تركوا لنا تراثاً فقهيا خالدا ، لم تستطع المدنية الحاضرة أن تصل إليه فى أسمى تشريعاتها ، وكيف احتفظ لنا تاريخ تلك الفترة بنماذج إنسانية بلغت فى الخلائق الإنسانية المثالية حداً لم يطاولهم فيه أحد حتى اليوم ، مما يجعلنا نؤمن بأن النبوغ الحجازى نبوغ قوى متفتح إذا انسد أمامه طريق لا ييأس ولا يقنط ، ولا يخنع ولا يتواكل ، وإنما هو يسلك سبلا أخرى ، ويثبت أنه قادر على التفوق فى كل الأعمال التى تزاولها الإنسانية الذكية النابهة ويبرز فيها بروزاً كبيرا يسجله له التاريخ ويحتفظ له به احتفاظ المقدر المعجب المستفيد .

وسوف تجد فى حياة عمر بن أبى ربيعة وحياة أسرته ما يحيى فيك الأمل ، ويشيع فيك البهجة ، ويطرد عنك اليأس ، لتعلم أن الحياة لا تضيق إلا فى وجه العاجز ، ولا تتعسر إلا على البليد . ولن تستطيع الحياة أن تمحو من صفحاتها إلا الأغبياء ، أما الأذكياء النابهون فليس فى ميسورها أن تغض نظرها عنهم ، ولو تجاهلهم كثير من أشباه الأحياء .

لم يجد عمر مجالا للسياسة والإدارة فى دولة الأمويين يصول فيه ويجول ،

كما وجد أبوه فى زمن النبى ﷺ وفى عهد أبى بكر وعمر وعثمان إمارة يقضى عمره فيها . كما أنه لم يجد مجالا له فى دولة الزبيريين كما وجد ابنه وأخوه سبيلا إلى تولي الإمارة على عهد عبد الله بن الزبير ، فأنشأ للفن دولة وجلس بمفرده على عرشها . فكانت آثاره أخلد من آثار الدولتين الأموية والزبيرية ، والناس إذ يذكرون ابنه وأخاه اللذين توليا الإمارة ، فإنما يذكرونهما عرضا فى الحديث عن عمر بن أبى ربيعة .

ذلك هو شاعرنا الحجازى الخالد ، الذى مازال الناس يعنون به ويتحدثون عنه ، ويؤلفون المجلدات الضخمة عن حياته ، وعن شعره ، وعن فنه .

وسوف لا تكتفى الأقلام بما كتب عن عمر ، وسوف تتحرك أقلام وأقلام للكتابة عنه ، وإنى إذ أقدم لك فى محاضرتى هذه نبذة عن عصر عمر ، وتاريخ عمر ، وشعر عمر ، فإنى إنما أقدم لك حديثا موجزاً عن تاريخ الوطن الأول للعروبة والإسلام فى فترة من فتراته مشاركة منى للباحثين فى جلاء بعض النواحى التى قد تكون غامضة علينا — قليلا .

ولعلك واجد فى محاضرتى شيئاً لم تجده فيما قرأته عن عمر فى كل ما كتب عنه .

ولعل كاتباً حجازياً آخر يقوم بجلاء بعض الغوامض التاريخية فى بلادنا ، فإن الكاتب الحجازى والأديب الحجازى قدير على أن يجلو من تاريخ بلاده وموطنه ما قد يعجز عنه غيره لأنه ابن البيئة الحجازية وربيبها « وأهل مكة أدرى بشعابها »[1] .

---

١) وقد أثبت هذا ما كشف عنه الأستاذ عمر رفيع من الغوامض التاريخية والمحلية فى مؤلفه (فى ربوع عسير) وصحح كثيرا من الأخطاء التى وقع فيها كثير من الذين كتبوا عن عسير لأنهم لم يكونوا من أبناء البيئة . وكذلك ما كشفه لنا الأستاذ أحمد سباعى فى كتابه (تاريخ مكة) وما جلاه لنا الأستاذ محمد بن بليهد فى سفره (صحيح الأخبار) وحقق هؤلاء المثل « أهل مكة أدرى بشعابها » .

وفى تاريخنا حياة عظيمة رائعة مطوية تدعونا بالحاح إلى بعثها ونشرها ، فحبذا اتجاه أقلام الكتاب وجهودالباحثين إليها والاستجابة لدعوتها ، فإن ربحنا من ذلك سيكون وفيرا جداً لأن بلادنا غنية بأمجادها ، غنية برجالها ، كما هى غنية بكنوزها وخيراتها .

وقد رأينا فائدة النبش عن كنوز البترول وكيف طفرت بلادنا طفرة اقتصادية مما جعل لها دوياً فى أركان الأرض ، ولفت إليها أنظار المستغلين وعشاق الأرباح . فلماذا لا ننبش عن تراثنا الفكرى والأدبى والروحى ، وهو أكرم وأعز وأثمن من ذلك فى وزن الحياة الصحيحة والأحياء الخالدين ؟ .

وسيكون ربح الإنسانية الروحى أعظم من ربحها المادى .

وما إخالك يا ابن العروبة عامة ويا ابن الحجاز خاصة إلا مؤمنا بنفسك وبموطنك ، وبتاريخك وموروثاتك إيمانك بالله .

الروضة ــ القاهرة

غرة رجب سنة ١٣٧٤ هـ
٢٤ من فبراير سنة ١٩٥٥ م

ابراهيم هاشم فلالي



عمر بن أبي ربيعة

عصر عمر ومجتمعه :

يقتضينى الحديث عن عمر بن أبى ربيعة أن ألم إلمامة موجزة بعصره ومجتمعه لنعرف الأسباب التى كونت منه زعيما للشعر الغنائى فى الأدب العربى .

فإن الحجاز ــ الذى هو موطن الشاعر ــ بعد أن قام بأداء الرسالة التى وكل الله إلى أبنائه نشرها على العالم واطمأن إلى أن العقيدة الإسلامية قد استقرت فى قلوب الملايين من أبناء الأمة العربية ، وغيرها من أبناء الأمم الأخرى .

وان دعوة محمد بن عبد الله ﷺ قد احتلت رقعة كبيرة من الأرض وتجاوبت أصداؤها فى أركان المعمورة . وأخذت الأموال والسبايا تتقاطر على مدن الحجاز حتى أصبح الناس فى حالة من الغنى واليسار لم يكن لهم بها عهد من قبل .

بدأت ظلال المادية القاتمة تغزو الإشراقات الروحية التى بعثها الإسلام فى القلوب والعقول . وأخذ سحر المثالية فى الأقوال والأعمال يفقد تأثيره القوى الأخاذ . وجنح الناس ، أو جنحت بهم المطامع والشهوات إلى الاستزادة من الثراء ، والاستكثار من الدور والقصور ، والضياع والبساتين ، والعبيد والإماء ، وما يتبع ذلك من كل ما تستدعيه حياة المنافسة والمكاثرة ، وما تستلزمه مظاهر الأبهة والترف . والنتيجة الطبيعية لهذا كله احتدام الصراع بين الأسر الكبيرة

والعصبيات القوية ، فتُنبش الأحقاد القديمة ، وتوغر الصدور وتثار النفوس ، وقد كان . ودخلت البلاد فى سلسلة من الثورات والحروب الداخلية كانت نتيجتها أن قتل عثمان بن عفان واغتيل علي بن أبى طالب رضى الله عنهما .

وباغتيال علي كرم الله وجهه انتهى أمر الشعوب فى حكم نفسها ، وبدأ أمر الأسر فى حكم الشعوب ، وبعد أن كان المسلمون يحاربون الكسروية والقيصرية ، أصبحوا يحاربون بعضهم بعضا عليها .

وانتقلت ميادين الصراع فى سبيل الفكرة والمثل الأعلى ، إلى ميادين الصراع فى سبيل المغانم والسلطان ، ومن طبيعة الصراع فى هذا السبيل أن تستخدم كل الوسائل فى سبيل الغلبة والنصر دون مراعاة لخلق أو دين . وإذا تمت الغلبة لأحد الفريقين استخدم الفريق الغالب كل الوسائل التى انتصر بها على خصمه فى تثبيت نفوذه ، وتدعيم سلطانه ، ليضمن البقاء له ولأسرته أطول مدة ممكنة .
ويصبح ذلك هو الغاية التى يجب أن تعمل له الدولة ، فتنفق الأموال بغير حساب — لا على مرافق الدولة — بل على الأنصار والمشايعين ، وتسند الوظائف الكبيرة إلى الأقرباء والموالين — دون ما نظر إلى جدارة أو كفاءة — إلا ما قد يجىء عرضاً غير مقصود . وتنجم من هذا التصرف فى المجتمعات التى يسودها هذا النظام إلى جانب الطبقة الحاكمة ، طبقة الأشراف ، أو ما كنا نسميها إلى أمد قريب بالطبقة الراقية ، طبقة الفارغين ، الذين يثرون على حساب المجتمع ويتضخم ثراؤهم على حساب المحكومين .

وقد نجمت هذه الناجمة فى المجتمعات الإسلامية فى عصر شاعرنا ، ولكنها كانت فى الحجاز أكثر وضوحا ، وأبعد شهرة ، ذلك لأن الحجاز كان القلعة التى يكمن فيها الخطر على الأمويين الذين تمت لهم الغلبة ، إذ أن الحجاز يتألف من أبناء المهاجرين والأنصار ، ومن البيوتات القرشية العريقة فى الشرف والسؤدد فى الجاهلية والإسلام . ونظرة هذا المجتمع إلى الأسرة الأموية تختلف عن نظرة بقية

المجتمعات ، فهى نظرة فيها الكثير من الازدراء والتهوين ، لأن بعض أسر هذا المجتمع تفضل الأسرة الأموية فى كثير من الأمور ، ولهذا الفضل ، يتشيع لهم كثير من البلاد والأمصار التى دانت لحكم بنى أمية .

فلا بدع إذا وجدنا الأمويين ينتهجون للحجاز منهجا سياسيا خاصا يتغاير مع سياستهم فى حكم غيره من الأمصار ، وهذا المنهج يتلخص فى مادتين أساسيتين :

الأولى : البطش الذريع .

الثانية : الإغداق الوفير .

ونسوق حادثتين كنموذج لهذا المنهج السياسى الذى كان يساس به الحجاز .

الحادثة الأولى :

لما ثار أهل المدينة المنورة على يزيد بن معاوية — بعد مأساة الحسين ابن علي رضى الله عنهما — بعث يزيد حملة كبيرة أخمدت الثورة وأباح قائد الحملة (عقبة بن مسرف) المدينة لجنده ثلاثة أيام يقتلون وينهبون ويفتكون . ثم أبى على من بقى من أهل المدينة إلا أن يبايعوه على أن يكونوا خولًا وعبيدا ليزيد أو يقتلوا ، فبايع من بايع ، وقتل من قتل . وهذا منتهى ما عرف من البطش والقسوة فى تاريخ العرب والمسلمين فى ذلك العهد .

الحادثة الثانية :

قابل عبد الله بن جعفر بن أبى طالب يزيداً . وكان عبد الله هذا عميد البيت الهاشمى فى المدينة ، وكان أجود أجواد العرب وله من المكانة فى نفوس الناس مما يجعل يزيد يحسب له ألف حساب ، فقال له : كم عطاؤك يا أبا هاشم ؟ فقال

عبد الله : ألف ألف . فقال له يزيد : قد ضاعفناها لك . فقال عبد الله : فداك أبي ، وما قلتها لأحد قبلك . فقال يزيد : قد ضاعفنا لك العطاء ثانية لهذه . فعاد عبد الله من مقابلة يزيد بأربعة ملايين ، وهذا — كما ترون أيها السادة — منتهى الإغداق .

وأن لهذه السياسة تأثيرا عميقا فى تكييف الأخلاق والأفكار ، وتوجيه المواهب والملكات ، وقد رأينا تأثير هذه السياسة فى أخلاق الحجازيين وتفكيرهم ، ومواهبهم وملكاتهم .

رأينا الحجاز ينفض يديه من السياسة ، ولم يعد يعنى بها كما كان فى عهد الخلفاء الراشدين . ومن نازعته نفسه للسياسة ، فليس أمامه إلا أحد أمرين : إما أن يرحل عن الحجاز ، كما فعل الحسين بن علي عليهما السلام ، وإما أن يترصد فى حذر وكتمان حتى تواتيه الفرصة — كما فعل عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما .

وقد يعجب البعض لموجة الغناء والمرح التى غرق فيها الحجاز فى ذلك العصر ، ولكن نظرة عابرة على الأحداث التى توالت على الحجاز ، وموجات الأحزان المتلاحقة التى أغرقت فى خضمها الحجازيين تزيل كل عجب واستغراب . فهم ان أغرقوا أنفسهم فى الحياة اللاهية ، فإنما هم يريدون أن يسروا عن أنفسهم الحزينة ، وأن يزيلوا من سمائهم السحائب القاتمة التى أمطرتهم بالفجائع والآلام . ففى فترة لا تزيد عن ربع قرن ، كانوا لا ينتهون من مأساة حتى يصابوا بفاجعة . فقد اغتيل أبو الحرية والأحرار عمر بن الخطاب ، وما كاد أثر الفجيعة فى عمر يزول حتى صرع الخليفة الصالح عثمان بن عفان فى ثورة جامحة . تلا ذلك وقعة الجمل وحصدت هذه الوقعة صفوة كبيرة من شباب الحجاز وشيوخه . وعقب هذه الوقعة نشبت وقعة صفين ، فقضت أو كادت تقضى على البقية الباقية من أعلام الحجاز النابهين فيه من أهل السابقة والفضل ، ثم اغتيل

رابع الخلفاء الراشدين علي بن أبى طالب كرم الله وجهه . ولم يمض طويل وقت حتى مات ابنه الحسن فى المدينة فى ظروف غامضة ، ومات عبد الرحمن ابن خالد بن الوليد فى حمص وأحاطت موته نفس الظروف التى أحاطت موت الحسن . ولم يكد الحجاز يكفكف دموعه على البررة من أبنائه حتى فوجىء بالمأساة التى اهتز لها العالم الإسلامى بأسره أسى وحزنا واستنكارا ، تلك هى مأساة الحسين بن علي فى كربلاء . وقد كان وقع هذه المأساة فى الحجاز أشد وأوجع . ثم حدثت مذبحة المدينة على يد عقبة بن مسرف — ثم قتل مصعب ابن الزبير فى العراق ، وعقبه مصرع أخيه عبد الله وانهيار دولته التى أقامها لمناوءة الأمويين . فهذه سلسلة من الكوارث أدمت قلوب الحجازيين وشملتهم بموجة من الحزن المميت . فلا بدع إذا وجدناهم — بعد ذلك — يغرقون أنفسهم فى موجة مضادة كلها لهو ومرح ، وغناء وشعر . وزادهم إمعاناً فى هذه الحياة ، مساعدة الأمويين لهم على ذلك بالبذل والعطاء ليصرفوهم عن التطلع إلى حقهم المغصوب ، فنشأ بينهم الغزلون من الرجال والغزلات من النساء ، وراجت سوق الظرف والظرفاء ، فى جانب ، وفى جانب آخر نبغ فريق من الزهاد والنسّاك والفقهاء الذين انصرفوا للعبادة ، وجمع أحاديث الرسول ﷺ والعناية بأحكام الفقه الإسلامى . وأخذ الحجاز يعيش العيشة التى أرادتها له السياسة الأموية وأحداثها . ونحن لا يهمنا فى حديثنا هذا إلا مجتمع الطبقة الفارغة فى الحجاز لأن شاعرنا كان منها .

لقد كانت هذه الطبقة مضافاً إليها الطبقة الحاكمة ، تعيش عيشة مترفة ناعمة ممتعة . وأول حاكم مسلم اتجه فى حياته إلى هذا اللون من المعيشة وشجع عليه معاوية بن أبى سفيان ، فلقد رووا عنه أنه قدم إلى الحجاز حاجا ، فدخل المدينة — فى موكب فخم ضخم — وكان أهل الحجاز لا عهد لهم برؤية الخلفاء إلا متقشفين مخشوشنين ، فلما رأوا معاوية على هذا الوضع وفى هذا الموكب بهتوا ، فقد كان من جملة ما فى موكبه خمس عشرة بغلة شهباء عليهن الجلابيب

والمعصفرات ، ففتن الناس بذلك المنظر ، وأنكره المتحرجون . ولكن الأغنياء والموسرين ، أخذوا يقلدونه .

والناس كما يقولون على دين ملوكهم . فأقبلوا على تشييد القصور فى حواضر الحجاز ، وفى مشارف الأودية الجميلة ، كوادى العقيق فى المدينة ، ووادى قرن فى الطائف ، وفى أباطح مكة وشعابها ، وأحاطوها بأغراس النخيل وأعراش الكروم ، وأشجار الورد والفاغية ومختلف الزهور والرياحين . ونشطوا فى حفر الآبار والعيون ، وابتنوا الأحواض والبرك فى العرصات وملأوها بالماء النقى الصافى لتلطيف الحر والسموم ، وأثثوا الدور والقصور بالأثاث الفاخر والرياش الثمين ، وزينوها بمختلف التحف والدمى المجلوبة من بلاد فارس والروم ومصر والشام والهند ، واستوردوا عطور القرنفل والورد والكافور والمسك والعنبر والنَّد من كل مكان . وتغالوا فى الملبوس ، وتأنقوا فى الهندام ، وحشدوا قصورهم بالجوارى الحسان من هنديات وروميات وفارسيات وحبشيات واعتنوا بتأديبهن وتثقيفهن ، فعلموهن القراءة والكتابة ، والعزف على الآلات الموسيقية ، وكان لديهم منها : الرق والعود والناى والطنبور ، وشغفوا بالغناء وكرموا المغنين والمغنيات وجعلوا لهم مكاناً مرموقا بينهم .

وكان الرجال والنساء من هذه الطبقة يركبون الخيل المسومة ، والبغال المطهمة ، والنجائب الفارعة المزينة ، ويخرجون إلى المتنزهات فى مواكب خلابة يمشى عن أيمانهم وشمائلهم ومن أمامهم وخلفهم الخدم والعبيد متمنطقين بالخناجر المموهة بالذهب متوشحين بالسيوف المرصعة بالجوهر ، واستحدث نساء هذه الطبقة (موديلات جديدة) فى القمصان والجلابيب والخُمر ، وكن يسدلن على وجوههن رقائق الحرير الشفاف لتمنع عنهن الغبار ، ولتشف عن وجوه زهاها الحسن أن تتقنعا . كما يقول عمر ، واستحدثت سكينة ابنة الحسين تصفيفة جميلة لشعرها ، فقلدها النساء ، كما قلدها بعض الشباب المائعين ، وسميت هذه التصفيفة بالجمة السكينية . واخترعن العصائب الموشاة بالقصب المحلاة

باليواقيت واللؤلؤ ، ولبس الأقراط والخواتم والعقود ذات الأثمان الخيالية . وتغالت هذه الطبقة فى المهور . فقد أمهر مصعب بن الزبير عائشة بنت طلحة بألف ألف . وقد أنكر الشعب هذا السرف البالغ من طبقة الحاكمين ، لأن هذا السرف لا يمكن أن يكون إلا على حساب الشعب المسكين . وقد كان مصعب ابن الزبير هذا أميراً على بعض البلاد من قبل أخيه عبد الله فإذا بشاعر شعبى يقول أبياتاً منها :

أبلغ أمير المؤمنين مقالة من ناصح لك لا يريد خداعا
مهر الفتاة بألف ألف كامل وتبيت سادات الجنود جياعا

وقد عزل عبد الله أخاه مصعباً لما بلغه قول الشاعر . ولكن ماذا يفيد عزل أمير عن إمارته ؟ بعد أن استمرأت هذه الطبقة حياتها على هذا الوضع ومنها الحكام والأمراء وأولياء العهود من بنى أمية ودولتهم ما زالت قابضة على زمام الحكم ، وأبناؤهم يحيون على هذه الوتيرة ، وقد غلب باطلهم كل حق وكل قائم بحق . وسارت عجلة الترف والسرف فى طريقها تطحن كل شيء يقف أمامها حتى بلغت القمة .

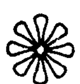
وكانت هذه الحياة محوطة بسياج قوى لا يصل إليه إلا كل من كان ذا حسب ونسب وعصبية قوية ، فكان الشعراء يتحامونها . والشاعر الذى لا يتحاماها لا يستطيع تصويرها فى شعره لأنه لا يحسها ولا يستمتع بما فيها من فنون وفنون . وكذلك لا يجرأ شاعر شعبى أن يتغزل بنساء هذه الطبقة المعتدة بأحسابها وأنسابها المعتزة بمالها وثرائها .

ومن ذا الذى يجرأ على التغزل بعائشة بنت طلحة ، وسكينة بنت الحسين ، وسعدى بنت عبد الرحمن بن عوف ، والثريا بنت عبد الله بن الحارث ابن أمية الأصغر ، وفاطمة بنت عبد الملك بن مروان وغيرهن من خرائد البيوتات ؟

لا يستطيع نصيب العبد ، ولا يستطيع كثير وجميل البدويان أن يرفعا أعينهما إليهن ، وكذلك لا يستطيع جرير ، ولا الفرزدق ، ولا الأحوص ، أن يتغزلوا بالقرشيات ، لأنهم ليسوا من قريش ، ومن ذلك نعرف أن هذه الطبقة المميزة المشغوفة بالغناء كان ينقصها شاعر منها . . لقد كانت فى حاجة إلى شاعر يكون حسبه من حسبها ، ونسبه من نسبها ، وثراؤه يضاهى ثراءها ، وذوقه لا يشذ عن ذوقها . وهى لا تسيغ بحال من الأحوال أن يتغنى مطربوها ومطرباتها بأمجاد غيرهم ، ومناقب سواهم ، ولا يسمحون لشاعر أجنبى عنهم أن يتهجم على حرمهم ويتغزل بنسائهم .

لكن عمر بن أبى ربيعة منهم فى الصميم ، وله من الثروة واليسار ما يجعله يحيا حياتهم ويحس بإحساسهم ، ويلهو لهوهم ويجاريهم فى كل مضمار .

وقد آن لى أن أتحدث عنه ولأبدأ بالحديث عن عشيرة عمر وأسرته .



عشيرة عمر وأسرته :

فعشيرة عمر بنو مخزوم . وبنو مخزوم ثالث بطن من بطون قريش البطاح التى تأتى فى المقدمة ، وهم : هاشم وأمية ومخزوم ثم بقية بطون قريش . وأسرته بنو المغيرة بن مخزوم . وهم : أبرز أبناء هذه البطن من قريش فى الجاهلية والإسلام . فهو عمر بن عبد الله بن حذيفة بن المغيرة بن مخزوم . وكان أبوه عبد الله علماً من أعلام قريش فى الجاهلية ، وكانت قريش تسميه العدل لأن قريشا كانت تكسوا الكعبة سنة ، ويكسوها عبد الله بمفرده سنة ، فسمته العدل لأنه عدلها . وهذا يدل على الثراء العريض والكرم البالغ كما يدل على عاطفة دينية عميقة . وكان لعبد الله عدد كبير من العبيد ، حتى ان رسول الله ﷺ حينما أراد غزو ثقيف قيل له استعن بعبيد عبد الله فأبى . . هذا شرفه فى الجاهلية ، أما فى الإسلام فقد استعمله رسول الله ﷺ على الجند . . ومخاليفها ، وهى ولاية كبيرة من ولايات اليمن الثلاث : صنعاء ومخاليفها ، وحضرموت ومخاليفها ، والجند ومخاليفها . وأرجح أن الجند هى المنطقة المسماة بعسير الآن ، وربما شملت ما يقال له قبل اليوم المخلاف السليمانى ، وقد لبث عبد الله فى ولاية هذه المنطقة مدة الرسول وخلافة أبى بكر وخلافة عمر حتى أوائل خلافة عثمان بن عفان .

وكان أبو عبد الله جد عمر اسمه حذَيفة وكنيته أبو ربيعة وإليه نسب عمر . وكان أبو ربيعة هذا شجاعا مقداما . وتسميه قريش ذا الرمحين ، لأنه قاتل فى حرب الفجار برمحين ، وذلك كما يدل على الشجاعة يدل على البراعة فى فن القتال . وكان المغيرة أبو حذيفة عظيما فى قريش بلغ من الشرف والسؤدد ما جعلهم يسمونه رب قريش . وقد قال الشاعر فى هذا النسب الضخم :

ألا لله قوم ولـــــدت أخت بنــــى سهـــــم
هشام وأبـــو عبـــد منـــا ف مدره الخصم . .
وذو الـــرمحين أشبـــاك على القـــــــوة والحزم

فهـذان يذودان وذا عن كثب يرمى

أسود تزدهى الأقرا ن مناعون للهضم

وهم يوم عكاظ منعوا الناس من الهزم

وهم من ولدوا أشبوا بسر الحسب الضخم

فإن أحلف وبيت الله لم أحلف على إثم

لما من إخوة تبنى قصور الشام والروم

بأزكى من بنى ريـ طة أو أوزن فى الحلم . .

وريطة هذه أم بنى المغيرة وهى من بنى سهم ، وبنو سهم بطن من قريش . هذا هو النسب الضخم لعمر بن أبى ربيعة وتلك هى مآثر آبائه فى الجاهلية . أما فى الإسلام فيكفى بنى مخزوم أن يكون منهم بطل الإسلام الخالد خالد بن الوليد ، وأن يكون أب شاعرنا من الذين ائتمنهم رسول الله ﷺ على إمارة جزء كبير مهم من جزيرة العرب . وبالجملة فإن شاعرنا من أسرة وعشيرة فى الذروة من قريش إذ جاءت قريش فى جاهليتها بالأحساب وجاءت فى الإسلام بالأعمال . . وكان لعمر أخ لأب اسمه الحارث بن عبد الله وكان رجلا رزينا تقيا ولاه عبد الله بن الزبير إمارة البصرة . وكان لعمر ابن يقال له جوان تولى إمارة تبالة باليمن فى دولة ابن الزبير أيضا . ومن العجيب أن يكون شاعرنا ابن أمير وأخ أمير وأب أمير وهو لم يؤمر . ولا أظن إلا أن الإمارة عرضت عليه ، ولكن نفسه الشاعره ، أنفت من ذلك .

مولد عمر :

يقال إن عمر ولد فى الليلة التى قتل فيها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فسمى باسمه وكنى بكنيته ولا أظنه إلا مولودا فى السنة التى قتل فيها عمر ، لأن أباه كان أميراً على الجند وأمه كانت من البلد التى فيها إمارته ، إذ لا يعقل أن

يغتال عمر وفى الليلة نفسها يولد عمر فيسمى باسمه إلا إذا كان أبو عمر موجودا فى المدينة ليلة مقتل عمر . ولا أظن أن عبد الله يشق على زوجته وهى فى أشهرها الأخيرة من الحمل ويأتى بها إلى المدينة إذا كانت أعمال إمارته فرضت عليه السفر إلى المدينة لمقابلة عمر . وقد عرف عن رجال قريش حنوهم الشديد على النساء .

لذلك أرجح أنه ولد فى موطن أمه بالجند وولد فى السنة التى اغتيل فيها عمر لا فى الليلة نفسها وقد سماه أبوه عمر باسم الخليفة ، لما لهذا الخليفة فى قلوب الناس من حب واحترام . ولا يبعد أنه بقى باليمن فى كنف أمه وأبيه حتى مات أبوه فى أوائل خلافة عثمان ، فنقل الطفل إلى المدينة بعد وفاة أبيه لينشأ فى وطنه وبين أهله وعشيرته . وكان القيم عليه أخوه لأبيه الحارث ، فثقفه بكل ما يتثقف به أبناء الأشراف فى ذلك الوقت فقرأ القرآن وحفظ الحديث ورواه ولكن علماء الحديث ضعفوا روايته ، لأنه لا يتفق مع ما اشترطوه فى رواة الحديث من التحرز والاحتياط . وتفقه فى الدين وتعلم الكتابة ورمى النبال والضرب بالسيف ، والمصارعة وركوب الخيل . وقرأ شعر الجاهلية ، وألَمّ بأشعار معاصريه من الشعراء ، ولقد تفتحت شاعريته وهو ما يزال فتى يافعا وكان أخوه الحارث يكره الشعر ، وبخاصة ما يختص بالغزل . فنهى أخاه عمر عن قوله ، ولكنه لم ينته . فلما رأى إصراره على قول الشعر ذهب به إلى عبد الله بن العباس رضى الله عنهما وقال له : إن أخى قال شعراً فاسمعه منه ، فإن كان حسناً تركته يقوله وإن كان غير ذلك صرفته عنه . فلما سمعه عبد الله بن عباس قال للحارث : إن بقى هذا ليخرجن المخبآت من خدورهن . وقد حقق المستقبل ما تنبأ به ابن عباس وأخرج عمر بشعره المخبآت من خدورهن . وإن لتشجيع ابن عباس فضلا كبيراً فى تنمية شاعريته وإشعال نبوغه . ولو تركت هذه الشاعرية لأخيه الحارث لوأدها وهى فى مهدها .

وكان ابن عباس يسمع شعر عمر فى حلقة درسه تحت ظل الكعبة فى المسجد الحرام ، وإذا تغيب سأل عنه بقوله : ماذا فعل المغيرى بعدنا ؟ وكان ابن

عباس يحفظ شعر عمر وينافح عنه . وقد أنكر ذلك عليه نافع بن الأزرق بقوله : يا ابن عباس إننا نضرب إليك آباط الإبل من أقاصى الأرض لنسألك عن الحلال والحرام ، ويأتيك مترف من مترفى قريش فتستمع إلى شعره وتعرض عنا ، وهو ينشدك قوله :

رأت رجلا أما إذا الشمس عارضت فيضحى وأما بالعشى فيخسر

فقال له ابن عباس : لم يقل فيخسر ، وإنما قال فيخصر . قال نافع : أوحفظت البيت ؟ قال ابن عباس : بل حفظت القصيدة ، وإذا شئت أن أقرأها لك قرأتها ، قال نافع : فإنى أشاء . فأنشده القصيدة كما سمعها من عمر .

هذا التشجيع الكبير الذى لقيه عمر من هذا الصحابى الجليل حبر الأمة ، وابن عم الرسول ﷺ يجب أن نذكره بالتمجيد والإعجاب ، لأنه يرينا صورة من النفوس السمحة التى كان يتحلى بها فقهاء ذلك العصر وعلماؤه . ولعل الذين يضيقون بالشعر والشعراء من العلماء المتزمتين اليوم يتأسون بمن هم أفضل منهم وأحرص على أخلاق المسلمين . ومن العجيب أن نرى بين علماء المسلمين اليوم من يحرم الشعر باسم الإسلام ، أو لعل الذين أخذوا الإسلام عن الهوامش والحواشى أعلم بالإسلام وروحه ممن أخذوا الإسلام عن رسول الإسلام ؟ من يدرى ؟

صحب عمر :

بلغ عمر سن الشباب والفتوة بالمدينة المنورة ، فوجد المدينة تزخر من حوله بما قدمنا من حياة المجتمع الراقى ، وما هو فيه من ترف ونعمة ، وما عليه أبناء الأشراف من أبهة وفخفخة . وكان أبرز البارزين فى هذا المجتمع الناعم المترف أجود أجواد العرب وعميد البيت الهاشمى فى المدينة إذ ذاك عبد الله بن جعفر بن أبى

طالب . وكان رجلا مهيبا مرموقا ، وكان بيته كعبة الوافدين والأضياف من كافة أنحاء المملكة الإسلامية ، وكانت تقام فى منزله أكبر حفلات الطرب يجتمع فيها كبار المغنين والمغنيات .

ويجتمع فيها الناس من جميع الطبقات للسماع . وبجانب هذه الدار دار أخرى هى دار حفيد الخليفة الأول عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق الشهير بابن عتيق . وكان رجل ظرف ودعابة . وكان عمر فتى مرموقا لما لأسرته من مكان لا ينكر فى مثل هذا المجتمع . ولا يعسر على مثله أن يصاحب هذين الرّجلين الكبيرين ، فصحبهما وتوطدت بينهم أسباب الصداقة حتى صاروا لا يكادون يفترقون عن بعض . وكان عمر يجمع إلى جمال شاعريته جمال هندامه وجمال خلقه وخلقه . وتألق هذا الثالوث الجميل فى المجتمع الراق تألقاً باهراً فابن جعفر عرف بسخائه وكرمه وابن أبى عتيق عرف بظرفه ودعابته . وعرف عمر بشعره ودماثة أخلاقه . وكان هذا الثالوث يقوم بإقامة الحفلات الغنائية ، ويعقد مجالس الفكاهة والمرح ويجعلها مجالس عامة لا يرد عنها أحد . فاجتمع عليهم الشباب ، حتى صار حضورهم الحفلات الغنائية شغلهم الشاغل . وقد أنكر بعض الشيوخ من قريش على ابنه شغفه بمجالس الغناء فقال له : أتمنعنى عن مجلس يجلس فيه عبد الله بن جعفر ؟ فذهب هذا الرجل إلى عبد الله وقال له : يا أبا هاشم لقد اتخذك فتياننا حجة فى السماع فإذا نهيناهم عنه قالوا أتنهوننا عما يسمعه عبد الله بن جعفر ؟ فقال له عبد الله : ولقد اتخذك فتياننا حجة إذا حملناهم على التعليم . فيقولون لنا : أتأمروننا بشىء ، لم يتعلمه فلان ؟

فاستحيا ذلك الشيخ من عبد الله وذهب . وهكذا أيها السادة إذا ملك الأميون أمراً يحرمون ما لم يحرمه الله ويحللون ما حرمه الله ، ويتخذون من أميتهم دينا يفرضونه على الناس .

ما علينا ، فقد تأثر شاعرنا بأخلاق صاحبه عبد الله بن جعفر وبأخلاق ابن أبى عتيق ، ونسوق حكايتين نستشف منهما ما كان يكمن فى نفسية كل

منهما من كرم أصيل وسماحة طبيعية وظرف غير متكلف : الأولى عن عبد الله ابن جعفر ، والثانية عن ابن أبى عتيق :

جاء شاعر إلى عبد الله بن جعفر وأنشده هذه الأبيات :

رأيت أبا جعفر فى المنام كسانى من الخز دراعه
شكوت إلى صاحبى أمرها فقال ستؤتى بها الساعه
سيكسوكها الماجد الجعفرى ومن كفه – الدهر – نفاعه
ومن قال : للجود لا تعدنى فقال : لك السمع والطاعه

فقال عبد الله لغلامه : ادفع له دراعتى الخز . وقال للشاعر : كيف لم ترجُبتى المنسوجة بالذهب هذه الجبة التى اشتريتها بثلاثمائة دينار ؟ فقال له الشاعر : دعنى أغفى اغفاءة أخرى فلعلنى أراها فى المنام . فضحك عبد الله وقال : يا غلام ادفع له جبتى الوشى .

أما ابن عتيق . فقد رأى خدشا فى حلق ابن عائشة المطرب المشهور فى عصره فقال له : من فعل بك هذا ؟ قال : فلان . فمضى ابن أبى عتيق ونزع ثيابه . وجلس للرجل على بابه حتى خرج فأخذ بتلابيبه وجعل يضربه ضرباً شديدا والرجل يقول له : يا حفيد خليفة رسول الله مالك تضربنى ؟ ماذا صنعت ؟ وهو لا يجيبه ثم خلاه وقال لمن حضر : إن هذا يريد أن يكسر مزماراً من مزامير داود . إنه خدش ابن عائشة فى حلقه ، هذا الظرف وذلك السخاء فى هذين الرجلين ، وذلك الوقار والصلاح اللذان يتصف بهما أخوه الحارث بن أبى ربيعة أثرا فى أخلاق شاعرنا تأثيراً كبيراً فترفع عن الدنايا كما ترفعوا . ولم يتسفل إلى ما يتسفل إليه غيره من الشعراء . فليس فى عمر شراسة العرجى ، ولا تسفلات الأحوص ، ولا إقذاع جرير ، ولا اندفاعات الفرزدق .

ولم تعن شاعريته بمديح الملوك والأمراء وأولياء العهود من بنى أمية على شدة لهفتهم إلى استماع مديحهم من عمر . وقد قال له الوليد بن عبد الملك : ما يمنعك

من مدحنا ؟ فقال له عمر : إنى لا أمدح الرجال . وحقاً أن عمر لم يمدح إلا النساء .. ولكن مع هذا فقد رويت له أبيات يمدح فيها صديقه عبد الله ابن جعفر حينما ابتعد عمر عن مجالسه فى بعض رحلاته التجارية ، وقد رأى حمامة تنوح بقربه فأثارت أشجانه وقال من قصيدة فقد أكثرها :

على أنها ناحت ولم تذر عبرة
ونحت وأسراب الدموع سفوح
وناحت وفرخاها بحيث تراهما
ومن دون أفراخى مهامه فيح
عسى جود عبد الله أن يعكس النوى
فتضحى عصا التسيار وهى طريح

ولا أظن إلا أن لعمر مدائح فى أصحابه وأصدقائه ومرثيات لمن مات منهم قبله وبخاصة فى صديقه هذا عبد الله بن جعفر . ويغلب على ظنى أنه طواها بيده لئلا تكون حجة عليه عند بنى أمية الذين قال لهم : إنى لا أمدح الرجال . وهو يعرف من بنى أمية ما نعرفه نحن عنهم ، كانوا لايحنقهم شيء مثل ما يحنقهم المدائح فى الهاشميين وعبد الله بن جعفر عميد الهاشميين . فخشى عمر أن يفسد عليه بنو أمية حياته المترفة الناعمة إذا هم رأوا شيئا من مدائحه فى غيرهم فطواها عن الأعين والأسماع فاندثرت فيما اندثر من شعره .

ومن أصحاب عمر : صاحب ثالث لزمه فى مكة . ذلك هو عميد المطربين فى مكة عبيد بن سريج ، وهو مولى بعض الأسر القرشية . وكان وهو فى المدينة فتى يافعا مثل عمر يحضر حفلات الغناء التى كانت تقام فى منزل عبد الله ابن جعفر . وكان ابن جعفر يعطف عليه ويواسيه . ولعله كان يستشف من نفسه روحاً فنية لم تتفتح بعد فتعرف عليه عمر واصطحبا . فلما انتقل عمر إلى مكة وانتقل إليها ابن سريج كان مطرب عمر المفضل . وقد بلغ ابن سريج من جودة الغناء وحسن الأداء وصفاء الصوت مبلغا عظيما حتى افتتن به الناس افتتانا

عجيبا . وكانوا يفضلون الانصراف إليه لسماعه على الانصراف إلى أعمالهم . حتى أن عطاء بن رباح عالم مكة وأعظم زهادها ، ذهب إليه وقال له : يافتّان ألا تكف عما أنت فيه ؟ فقال له ابن سريج : سألتك بحق من تبعته من أصحاب رسول الله ﷺ ، وبحق رسول الله عليك إلا ما سمعت منى ، فإن سمعت منكرا أمرتنى بالإمساك عما أنا عليه وأنا أقسم لئن أمرتنى بعد استماعك منى بالإمساك لأفعلن ذلك ، فطمع فيه عطاء وقال له : قل . فاندفع ابن سريج يغنى .

إن الذين غدوا بلبك غادروا　　وشلا بعينك لا يزال معينا
غيضن من عبراتهن وقلن لى　　ماذا لقيت من الهوى ولقينا

فلما سمعه عطاء طرب طربا شديداً . وحلف ألَّا يكلم أحداً بقية يومه إلا بهذا الشعر وصار إلى مكانه بالمسجد الحرام فكان كل من يأتيه سائلا عن الحلال والحرام لا يجيبه إلا بأن يضرب إحدى يديه بالأخرى ويقول : (ماذا لقيت من الهوى ولقينا) حتى صلى المغرب ، ولم يعاود لوم ابن سريج أو معارضته بعدها . هذا ما كان عليه أسلافنا من تقدير للفن وتأثر به ، وقد وصلنا إلى عصر قست فيه القلوب حتى صارت كالحجارة ، ورأينا رجالا يحرمون الغناء تحت ستار الدين ، وحاشا لسماحة الإسلام ودين الفطرة أن يحارب ما فطرت عليه النفوس .

انتقال عمر إلى مكة :

وبينما كانت المدينة المنورة تنعم بالترف والنعيم ، وتلهو لهوها الممتع الشائق مات معاوية ونودى بابنه يزيد خليفة على المسلمين ، وهذه بدعة منكرة لم يعرفها المسلمون فى عهد خلفائهم الراشدين وأهل المدينة من أبناء المهاجرين والأنصار ، ومن ذوى العصبيات القوية ، ومن أهل العرفان والعلم بالفقه الإسلامى ، فليس بدعا عليهم إن لم يقروا هذا الوضع وأبوا أن يورثوا كما تورث الدور والقصور والمواشى

والأنعام . وكيف لا يأبون ذلك وهم الذين حطموا القيصرية والكسروية فى فارس والروم وخلصوا الشعوب من نيرهما الثقيل المرهق . فثار الحسين بن علي على هذا الوضع وكانت شيعته بالعراق فذهب إليها ، وفى العراق حدثت تلك المأساة الرهيبة ، وثارت المدينة المنورة بزعامة عبد الله بن حنظلة الغسيل ، وجاء مسرف ابن عقبة بحملته وأنزل بالمدينة تلك الكارثة المشهورة ، مما جعل الناس يتسللون إلى مكة حيث عبد الله بن الزبير يربض فيها ويعد لوثبته على الأمويين عدتها . وكان الحارث أخ شاعرنا من ثوار المدينة . ولكنه استطاع أن يفلت هو وعائلته من قبضة مسرف ، ويتسلل إلى مكة ، وبطبيعة الحال كان عمر معه ، واستطاع ابن سريج أيضا أن يذهب إلى مكة ، مع عمر . وهذه الكارثة هى التى ألهبت فى ابن سريج فنه ورفعت من قدره إذ كان يصعد إلى جبل أبى قبيس وينوح على قتلى الثورة بمثل هذا البيت :

يا عين جودى بالدموع السفاح　　　وابكى على قتلى قريش البطاح

وقول سكينة بنت الحسين :

يا أرض ويحك أكرمى أمواتى　　　فلقد ظفرت بسادتى وحُماتى

فلفت نظر الناس إليه بصوته وحسن ترجيعه . واستغل عمر بن أبى ربيعة ذلك فكان ينظم المقطوعة من الشعر ويعطيها لابن سريج فيلحنها ، ثم يعد عمر مجلسا حافلا للغناء فيتغنى ابن سريج بأبيات عمر .

وفى مكة ظهر عمر ظهوره الساطع ، فقد كان مترفا بكل ما تحمل هذه الكلمة من معانى الترف ، يعنى بهيئته وهندامه فيلبس الفاخر من الثياب ويسدل لمته بعد أن يخضبها بالعنبر والمسك ، ويعنى بركائبه فيجملها برحائل الديباج الموشاة بالقصب ، ويعنى بمجلسه فيصف المراتب الوثيرة ، ويفرشه بالبسط الفارسية . وكان لا يثير فى نفسه الشعر إلا منظر النساء الجميلات الأنيقات المترفات ، فهن مصدر وحيه ، ومبعث الهامه . فكان يترصدهن فى كل مكان

ويتنسم أخبارهن ، ويحتفل لمقابلتهن احتفالا عظيما . وكان يحيط نفسه بحاشية من صحابه وخدمه يغدق عليها إغداقا وفيراً من ماله . وكان ماله لا يضيق بذلك فقد ورث ثروة طائلة من أبيه . ولم يلهه الشعر والغزل ومجالس اللهو عن تنمية الثروة الموروثة ، فكانت له رحلات تجارية أكثرها إلى اليمن ، وربما ذهب إلى العراق فى رحلة مزدوجة للتجارة والحب .

وقد قصت كتب الأدب عن تفننه فى إبراز الصورة التى يحبها لمظهره وموكبه الشيء الكثير من ذلك قول صاحب الأغانى : « حج عمر بن أبى ربيعة على نجيب مخضوب (بالحناء) مشهر الرحل بقراب مذهب ، ومعه عبيد ابن سريج على بغلة شقراء ، وغلام عمر جناد يقود فرسا له أدهم أغر محجلا ، فى عنقه طوق من ذهب ، وكان اسم الفرس كوكباً » .

وقال أيضا : « خرج عمر ومعه ابن سريج على نجيبين راحلتاهما ملبستان بالديباج وقد خضب النجيبان (بالحناء) ولبس عمر حلة وابن سريج حلة » . هاتان الحكايتان تعطيانا فكرة أو صورة لما كانت عليه مراكب عمر التى كان يخرج فيها إلى الحج أو إلى المتنزهات فيبهر الناس بمظهر فذ يدل على النعمة واليسار .

وكان عمر يختار لمجلسه عند منصرف الناس من الحج كثيبا يشرف على الحجاج فى مفترق الطرق بأعلى مكة . فتبسط له البسط وتحيط به الحاشية ويقف على رأسه غلامه جناد ، ويجلس عن يمينه ابن سريج ضاربا على رقه أو على عوده ويرفع صوته بالغناء فى مقطوعة من شعر عمر ، فيجتمع الحجيج تحت الكثيب ويستمعون إلى الشعر والغناء ولا ينصرفون إلى بلادهم إلا وهم يرددون شعر عمر وألحان ابن سريج ، ويتحدثون عن ذلك المجلس الرائع الفتان .

أما قبل الحج فكان يخرج بموكبه الجميل الذى تقدم وصفه إلى ذات عرق فتضرب له المضارب الفخمة التى تلفت إليها الأنظار ، ويبقى هناك حتى يمر

الركب العراقى فيرصد من فيه من حسناوات .

وينتقل إلى مر ليستقبل الركب المدنى ، ثم ينتقل إلى القديد أو الكديد ليستقبل أهل الشام ، ثم ينتقل إلى يلملم حيث يستقبل ركب أهل اليمن . وهو فى كل ذلك لا يتعقب إلا النساء الجميلات المترفات فيتحدث إليهن ، ويسمعهن شعره القديم ويتزود بنظرة تبعث فيه شعرا جديداً ، ثم يضرب بينه وبينهن المواعيد للمحادثة والسمر . وقد شغف النساء الغزلات ـــ ونقصد بالغزلات اللواتى يحببن سماع الغزل ـــ به فكن يتفقدنه فى المواقيت وإذا لم يرين مضاربه الأنيقة بحثن عنه كما يبحث عنهن ، ويتحيلن فى مقابلته بشتى الحيل ، ولا بدع فى ذلك « فالغوانى يغرهن الثناء » وعمر يمدحن ويثنى عليهن فى شعره ، وشعره أحسن اعلان عن جمالهن ، فيجعل منهن حديثا للركبان وأغنيات للمطربين . والمرأة لا تحب شيئا حبها الاشادة بجمالها ، وأحسن العلم عندها علمها بمدى تأثيرها فى قلوب الرجال ، وبخاصة فى قلوب الشعراء فهم عند الغانيات الناس ، ورحم الله شوقى حيث يقول : « أنتم الناس أيها الشعراء » .

وإذا رأينا النساء يتهافتن على عمر ويحرصن على محادثته ، فلا نراهن يردن من ذلك إلا اشتهار الاسم وبعد الصيت . ونستدل على ذلك بحكاية حكاها الاصفهانى فى أغانيه واستدل بها الأستاذ العقاد فى كتابه (شاعر الغزل) على ما أذهب إليه . وملخص الحكاية : أن عمر بن أبى ربيعة رأى امرأة عراقية فأعجبه جمالها فمشى خلفها حتى عرف منزلها ، ثم زارها وحادثها وناشدها وناشدته فلما أعجب بها خطبها فقالت : إن هذا لا يصلح هنا ولكن إن جئتنى إلى بلدى وخطبتنى إلى أهلى تزوجتك ، فارتحل معها إلى العراق ثم تنجزها وعدها ، فأعلمته : « أنها كانت متزوجة بابن عم لها وقد مات بعد أن خلف منها أولاداً وترك لها ثروة وأوصى بهم وبثروتهم إليها ما لم تتزوج . وهى تخاف إن تزوجته فراق أبنائها وذهاب النعمة عنها » فتركها وعاد إلى مكة . ويقول الأستاذ العقاد تعقيبا على هذه الحكاية : « فهذه الحسناء العراقية لم ترد حبا ولا زواجا ولا متعة

حديث . ولكنها أرادت أن يشتهر بين الناس أنها أزعجت شاعر الغزل فى الحجاز حتى ترك وطنه وتبعها وتمنى زواجها فلم تجبه . وهذا الذى صنعته الحسناء العراقية تصنعه الحسان الحجازيات اللائى يأبين السكوت عنهن إذا كان معنى السكوت انهن أقل جمالا وفتنة ممن نظم فيهن الغزل وجرى بوصفهن الحديث فيتصدين ولا يتجاوزن الملهيات أو هذه المناوشة » هذا شأن الحسناوات اللائى كن يتعرضن لعمر ليتغزل بهن . أما شأنه معهن فقد أجمع الرواة — ولم يغب عنهن — أن عمر كان عفيفا يصف ولا يقف ويحوم ولا يرد .

لقد عرف عمر لنفسه مكانتها فلم يتبذل فى شعره ، ولم نر فحشا فى الكثرة الكاثرة مما نظم . والشيء القليل الذى فيه الفحش لاقى فيه من حسناواته نقداً عنيفا لاذعا ، لأن حسناواته لايردن له التبذل أو لا يردن الاساءة لسمعتهن وإذا أقررنه على التبذل والفحش لحقت بهن الإساءة . روى صاحب الأغانى ، والخلاصة مما روى : أن فاطمة بنت عبد الملك بن مروان حجت ، فلما أتمت مناسكها دعته إليها فلما حضر عندها قالت له : أأنت عمر بن أبى ربيعة ؟ فقال : أنا عمر ، قالت : أنت الفاضح للحرائر حيث تقول :

قالت : وعيش أخى وحرمة والدى ... لأنبهن الحى إن لم تخرج
فخرجت خوف يمينها فتبسمت ... فعلمت أن يمينها لم تحرج
فتناولت رأسى لتعرف مسه ... بمخضب الأطراف غير مشنج
فلثمت فاها آخذا بقرونها ... شرب النزيف ببرد ماء الحشرج

أخرج عنى . وقد أخرج من مجلسها إخراجا ، وهذا شديد مؤلم على عمر لمكانته من قريش بصرف النظر عن مجده الشعرى الفخم ثم استدعته مرة ثانية ، فلما حضر عندها قالت :

يافضّاح الحرائر بقولك :

وناهدة الثديين قلت لها : اتكى على الرمل من جبانة لم توسد
فقالت : على اسم الله أمرك طاعة وإن كنت قد كلفت ما لم أعود
فلما دنا الإصباح قالت : فضحتنى فقم غير مطرود وإن شئت فازدد

ثم قالت : أخرج عنى يافضّاح الحرائر ، وأخرج . ولكنها فى هذه المرة لم تتركه يذهب بل ردته وقالت : لولا وشك الرحيل وخوف الفوت ومحبتى لمناجاتك والاستكثار من محادثتك لأقصيتك ، فجلس يتحدث معها ولكن بعد أن أعطته درساً قاسيا يجعله طول حياته لا ينزل عن المستوى الشعرى الذى يريده له نساء هذه الطبقة . ومما يدل على أن عمر لم تمتد غايته إلى أكثر من المحادثة والمؤانسة ، وأنه لايريد بحال من الأحوال أن يتأذى منه حسناواته ، زواجه من كلثم بنت سعد المخزومية ، ولزواجه بها قصة : فقد كان يهواها وكانت شديدة التمنع عليه ، ومن شدتها عليه أنه أرسل لها جارية فضربتها وحلقتها فأرسل لها أخرى ففعلت بها ما فعلت بالأولى فتحاماها جواريه ورسله . ولكنه لم يعدم حيلة فبعث إليها بمولاة له كانت لبقة فى تصرفها ، فتوددت إلى خادمتها حتى أصبح ترددها لم يثر ريبة أو شك فى نفس كلثم . ومازالت تتلطف بكلثم حتى أنست إليها وصارت تسمع منها حديثها فلما أمنت غضبها قالت لها : لى عليك عهد الله أن أطلعك على شيء فإن كان منك إلى ما أحبه وإلا فلا يلحقنى منك مكروه ، فعاهدتها على ذلك ، فأعطتها قصيدة كان عمر نظمها لها .

يقول فيها :

من عاشق صب يسر الهوى قد شفه الوجد إلى كلثم
رأتك عينى فدعانى الهوى إليك للحين ، ولم أعلم
قتلتنا يا حبذا أنتمو . . . فى غير ما جرم ولا مأثم

والله قد أنـزل فى وحيـه مبينـاً فى آيـه المحكـم
من يقتل النفس كذا ظالما ولم يقدهـا ، نفسه يظلـم
وأنت ثـأري فتـلافى دمـى ثم اجعليه نعمـة تنعمـى
وحكمـى عدلا يكـن بيننـا أو أنت فيما بيننا فاحكمي

فلما قرأتها قالت : إنه خداع ملق وليس إلى ما شكاه من أصل . قالت : يا مولاتى فما عليك فى امتحانه ؟ قالت : أذنت له . وزينت نفسها ومجلسها وجلست له من وراء ستر ، فلما دخل واطمأن به الجلوس ، قالت له : أخبرنى عنك يا فاسق ألست القائل ؟

هلا استحيت فترحمى صبّـا صديان لم تدعى له قلبـا
جشم الزيـارة فى مودتكـم وأراد أن لا ترهقـى ذنبـا
ورجـا مصالحة فكان لكـم .. سلمـا ، وكـنت ترينـه حربـا
لا تجعلـن أحـداً عليك إذا أحببتـه وهويتـه ربـا
وصل الحبيب إذا سعدت به واطـو الزيـارة دونـه غبًّـا
فلـذاك أحسن من مواظبـة ليست تزيـدك عنـده قربـا
لا بل يملك عنـد عودتـه ويقـول : هاه ، وطـالما لبـّى

قال عمر : جعلت فداك ، إن القلب إذا هوى علق اللسان بما يهوى . فعدلت عن تقريعه . وأنست لحديثه فمكث عندها شهراً فلما أراد الخروج استأذنها ، فقالت : بعد أن فضحتنى ، لا تخرج إلا بعد أن تتزوجنى ، فتزوجها وأنجب منها ابنه جوان .

هذه الحكاية تدلنا على أن عمر لم يكن ذئبا من ذئاب الإنسانية الذين يغدرون بالنساء ثم يدعونهن صرعى الغدر والتغرير وإنما هو رجل يعرف تبعات

الرجولة فيحتملها فى قوة ورضاء .

لقد بلغت فى الحديث عن عمر مبلغا أظنه كافيا لإعطاء صورة واضحة عن عصر عمر ومجتمعه وأسرته ونشأته ونفسيته . وبقى أن أتحدث عن شعر عمر ، الذى هو مرآة نفسه :

شعر عمر :

لقد كان شعر عمر مذكرات يومية يسجل فيها حياته الخاصة التى كان يحياها . والحياة التى كان عمر يحياها بعيدة كل البعد عن الأحداث السياسية الكبرى التى كانت تدور حوله فلم يتأثر بها ، ولم تتأثر به . وإنما هو رجل فنان مترف موكل بجمال الوجه يتبعه ، فلا يهمه من هذه الحياة إلا جمال النساء ، وما يأتى اطارا لذلك من جمال الموكب ، وجمال الملبس ، وجمال المجلس ، وجمال الهندام ، وجمال الشعر وجمال الغناء . فإن تعرضت الأحداث لشىء من ذلك انفعلت نفس عمر وإلا فلا انفعال ولا شعر . فمن ذلك : لما بلغ عمر أن مصعباً بن الزبير قتل عمرة بنت النعمان الأنصارية ، انفعلت نفس عمر واهتزت لهذا العمل الذى يعده عمر من أفظع الكبائر .

إن من أعظم الكبائر عندى قتل حسناء غادة عطبول
قتلت باطلا على غير ذنب إن لله درها من قتيل
كتب القتل والقتال علينا وعلى الغانيات جر الذيول

فمصرع هذه المرأة حرك نفس عمر للشعر . أما مصرع آلاف الرجال الذين كانوا يتساقطون كورق الأشجار بسيف البغى فلا يحرك عمر ولا يهز شاعريته ، لأن ذلك غير داخل فيما يعنى به عمر من أمور الحياة . وأنا أخشى أن ألوم عمر على ذلك لأنه تمنى لمن يلومه أن يلاقى عشر ما كان يلاقيه من عذاب فى حبه للنساء ، ولا أريد أن يشمت بى عمر فى قبره إذا حقق الله أمنيته فهو

يقول :

ياليت من لا منا فى الحب مر به
مما نلاقى — وإن لم نحصه — العشر

حتى يذوق كما ذقنا فيمنعه مما يلذ حديث النفس والسهر

وبقية هذين البيتين قصة شعرية من قصصه الممتع اللذيذ فهو يقول :

دست إليَّ رسولا لا تكن فرقا
واحذر — وقيت — وأمر الحازم الحذر

إنى سمعت رجالا من ذوى رحمى
همو العدو بظهر الغيب قد نذروا

أن يقتلوك — وقاك القتل قادره
والله جارك فيما أجمع النفر

السر يكتمه الاثنان بينهما وكل سر عدا الاثنين ينتشر
والمرء إن هو لم يرقب بصبوته لمح العيون بسوء الظن يشتهر

* * *

لقد حج عمر ونزل إلى مكة : وبينما هو بين الصفا والمروة يسعى لإتمام مناسكه رأى امرأة جميلة أعجبه جمالها فتبعها فنظرت إليه ولكنها أغضت عنه حتى أتمت سعيها . فرأته ما زال ينظر إليها ، فقالت لوصيفتها — وكأنها تضرب له موعداً — أرائح عمر مساء أم سيبكر بالسفر ؟ الله يحفظه إن أقام أو رحل ، ولم يجد عمر فرصة فى زحمة السعى للمحادثة معها فتبعها حتى عرف منزلها ، فلما أجنه الليل صحب سيفه وتدثر بعباءته وذهب حتى وصل إلى منزلها فوجد أمامه أحراساً فاستدار إلى خلف المنزل ووقف فى فنائه ، وكان القمر يرسل أشعته عليه والقمر عند العشاق نمام ، فوقف فى حذر ويقظه ، وإذا به يراها تنضو مجاسدها

استعداداً للنوم . ولاحت منها التفاتة إلى ناحيته فرأته فعرفته فلطمت وجهها لهذه المفاجأة ونادت وصيفتها وقالت لها : ما بال عمر يخاطر بنفسه ، ويأتى فى مثل هذه الساعة من الليل ؟ ألا يرى الأحراس ؟ أيريد فضيحتى ؟ أم يريد تحقيق ما قاله الناس عنى من أنى أحب عمر ؟ هلا أرسل إليَّ رسولا يعلمنى بزيارته حتى أعد للأمر عدته ؟ هلا صبر حتى يغيب القمر ؟ ثم دنت منه ثائرة فطمأنها قائلا إن أحداً لم يره . فاطمأن قلبها وأدخلته وجلس معها إلى الصباح وخرج وقامت مع جواريها يزلن أثر خطوه من فوق الرمل بخمرهن الفخمة الغالية . هذه المغامرة سجلها لنا عمر فى شعره فقال :

وشاقنى موقف بالمروتين لها ... والشوق يحدثه للعاشق الفكر
وقولها لفتاة غير فاحشة ... أرائح ممسيا أم باكرٌ عمر . ؟
الله جار له إما أقام بنا ... وفى الرحيل إذا ماضمه السفر . .
فجئت أمشي ولم يغف الأولى سمروا ... وصاحبى هندوانى له أثر . . .
فلم يرعها ، وقد نضَّت مجاسدها ... إلا سواد وراء البيت يستتر
فلَطَّمتْ وجهها ، واستنبهت معها ... بيضاء آنسة من شأنها الخفر . .
ما باله حين يأتى أخت منزلنا ... وقد رأى كثرة الأعداء إذ حضروا
لشقوة من شقائى أخت غفلتنا ... وشؤم جدى ، وحين ساقه القدر
قالت : أردت بذا عمدا فضيحتنا ... وقطع حبلى ، وتحقيق الذى ذكروا
هلا دسست رسولا منك يعلمنى ... ولم تعجل إلى أن يسقط القمر
فقلت : داع دعا قلبى فأرقه ... ولا يتابعنى فيكم فينزجر . .
فبت أسقى عتيق الخمر خالطه ... قرنفل فوق رقراق له أشر
وعنبر الهند والكافور خالطه ... شهد مشار ، ومسك خالص ذفر
حتى إذا الليل ولى قالتا زمراً ... قوما بعيشكما قد نور السحر
فقمت أمشى وقامت وهى فاترة ... كشارب الخمر بطّى مشيه السكر
يسحبن خلفى ذيول الخز آونة ... وناعم العصب كيلا يعرف الأثر

إنه مشهد سينمائى فيه كل ما فى السينما من أضواء وظلال وحوار . وأمثال هذه المشاهد فى شعر عمر كثيرة بل شعر عمر كله مشاهد غرامية ، وهذا اللون من الشعر يعد خروجا عن المألوف الذى كان متبعا عند الشعراء ، فلقد كانوا أكثر ما يعنون بالنسيب كمقدمة للمديح ، أو كانوا يعنون بالنسيب ليصفوا ما يلاقونه من صد وهجران ، أو ما يحسونه من ألم وحرمان . ولكن عمر خرج عن كل ذلك بتصوير المواقف الغرامية ، وتسجيل ما يحدث له من مغامرات يومية ، وسرد ما قال لحسناواته وما قلن له . فنحن إذا قرأنا شعر عمر ، وجدنا أنفسنا أمام مشاهد سينمائية وحوار ممتع بلغة سلسلة سهلة مهذبة ، وفى مقطوعات قصيرة غير مملة ، وأظن عمر بن أبى ربيعة كان متفاهما مع مدرسة أبولو فى الاتجاه الشعرى ، ولا اظن إلا أن عمر قد نال إعجاب الأستاذ السحرتى كناقد . فإذا قيل لماذا خرج عمر عن مألوف الشعراء ، ولم يخرج غيره من شعراء زمانه ؟ فإننا نجد للاجابة على ذلك كثيرا من الأسباب تضافرت على ابراز شعر عمر بهذه الصورة . منهاأن أسرة عمر أسرة تجارية والأسر التجارية كثيرة الاختلاط بالناس . وهذا الاختلاط يقتضيها أن تكون رقيقة الطبع دمثة الأخلاق تختار من أساليب الكلام الأسلوب السهل المفهوم عند كل من يسمعه ، وتبتعد ما أمكنها عن الفخامة والضخامة .

وكانت تجارة أسرته فى العطور والحرير ، والأحجار الكريمة ، والأثواب الناعمة ، وأكثر الناس شراء لهذه الأشياء ذوو الثروة واليسار . وكانت جدته لأبيه تبيع العطر وزبائنها من النساء فانطبعت فى مخيلته منذ الطفولة هذه المرائى البراقة ، مرائى النساء الجميلات اللواتى يفوح العطر من أردافهن ، ومرائى الأثواب الناعمة والأحجار المتلألئة . ودرج لسانه منذ الصغر على ما يسمعه من كلام ناعم وعبارات مهذبة .

ومن الأسباب أيضا تطور المجتمع الذى نشأ فيه ، ذلك التطور الذى تقدم وصفه . ومن الأسباب أيضا أنه كان غنيا موسرا لا يهمه شىء من أمر

اللقمة والكسوة والمسكن ، فإن ذلك متوفر له بصورة لم تتوفر لشاعر مثله .

ومن الأسباب أنه كان ينظم الشعر لا ليلقى فى مجالس الخلفاء الذين لا يرضيهم الشاعر إلا إذا كان جزلا فى أسلوبه فخما فى كلماته وعباراته . وإنما كان يقول الشعر ليسهل فهمه على حسناواته من جهة ومن جهة أخرى ليسهل تلحينه على المطربين والمطربات ، وساعده مزاجه الشعرى واستجاباته النفسيه إلى هذا اللون من الشعر فكان مبرزا فيه . . فهو لا يعنى بالسياسة أو أن السياسة لا تعنيه فى قليل أو كثير . ونفسه لا تميل إلى الملاحاة والتهاجى . وليس هو بحاجة إلى التفاخر القبلى كما يفعل غيره من الشعراء فقد اعترف الناس لقبيلته بالسبق فى كل شيء . وأسرته غنية بأمجادها ومناقبها ، وأخدانه وخلانه لا يريدون منه إلا شعراً يكمل لهم متعتهم ويزيد لهم فى مباهج حياتهم . كل هذه الأسباب تهيأت لعمر فجعلت منه صاحب مدرسة خاصة فى الشعر العربى ، وإمام طريقة لا يزال أتباعه من شعراء الشعر الغنائى يسيرون على سنته ومنهاجه فيها حتى الآن .

وقد أحس شعراء زمانه بأنهم لا يحسنون ما يحسنه عمر ، وأنه جاء فى شعره بنغمة شعرية جديدة على أسماعهم فقد سمع الفرزدق عمر ينشد قوله :

فقمن لكى يخليننا فترقرقت
مدامع عينيها وظلت تدفق

وقالت : أما ترحمننى ، لا تدعننى
لدى غزل جم الصبابة يخرق

فقلن : اسكتى عنا فلست مطاعة
وخلك منا فاعلمى بك أرفق . . .

فقال له الفرزدق : أنت والله يا أبا الخطاب أغزل الناس ، لا تحسن والله الشعراء أن يقولوا مثل هذا النسيب ولا أن يرقوا مثل هذه الرقية ، هذا الذى أرادته

الشعراء فأخطأته ، وبكت على الديار . وما كان للفرزدق مثل هذا القول لولا أنه سمع نغمة شعرية لم يسبق للفرزدق أن سمع مثلها من غير عمر .

ولما أنشد عمر جميلًا بن معمر العذرى صاحب بثينة قوله :

فسلمت واستأنست خيفة أن يرى
عدو مقامـــى ، أو كاشح فعلى
فقالت : وأرخت جانب الستر : إنما
معى . تكلم غير ذى رقبة أهلى
فقلت لها : ما بى لهم من ترقب . .
ولكـــن سرى ليس يحملـــه مثلى
فلمـــا اقتصرنـــا دونهن حديثنـــا
وهن طبيبات بحالـة ذى التبـل . .
عرفن الذى تهوى فقلن : ائذنى لنا
نطف ساعة فى طيب ليل وفى سهل
فقـالت : فلا تلبثـن . قلـن : تحدثى
أتيناك ، وانسبن انسياب مها الرمل
فقمن وقد أفهمـن ذا اللـب انما
يأتين الذى يأتين من ذاك من أجلى

قال له جميل : « هيهات يا أبا الخطاب لا أقول والله مثل هذا سجيس الليالى ، والله ما يخاطب النساء مخاطبتك أحد » .

وإذا حدثنا عمر فى شعره عن النساء ، فإنما هو ينقل لنا أحاديث لا تصدر إلا من النساء . ومثل هذه الأحاديث يقولها النساء فى كل مكان وفى كل زمـان ، ولكـن براعـة عمـر تبـدو فى الدقـة التـــى

ينقل بها لنا تلك الأحاديث فمن ذلك قوله :

فلوت رأسها ضراراً وقالت : لا وعيشى ولو رأيتك متا
حين آثــــرت بالمودة غيرى وتناسيت وصلنا ومللتا . . .
قد وجدناك إذ خبرت ملولا طرفا لم تكن كما كنت قلتا

وقوله :

قالت على رقبة يوما لجارتها : ما تأمرين ؟ فإن القلب قد تبلا
وهل لى اليوم من أخت مواسية منكن أشكو إليها بعض ما فعلا
فراجعتها حصان غير فاحشة برجع قول ، ولب لم يكن خطلا
لا تذكرى حبه حتى أراجعه انى سأكفيكه ، إن لم أمت عجلا
فاقنى حياءك فى ستر وفى كرم فلست أول أنثى خادنت رجلا

وحينما سئل حماد الراوية عن شعر عمر قال : « ذاك الفستق المقشر » . وما كان لحماد أن يقول هذا القول لولا أنه وجد لشعر عمر طعما لذيذ المذاق لم يجده فى شعر غيره على كثرة ما ذاق حماد من طعوم الشعر .

أقوال النقاد القدامى :

لقد فتن النقاد القدامى بعمر افتتانا شديداً ، فلم يهمله ناقد من معاصريه ، وكل من ألف عن الشعر والشعراء لا بد وأن يفرد الصفحات الطوال لعمر ولشعر عمر . واننى أذكر لحضراتكم بعض ما قالوه فيه ، فمن ذلك ما قاله يعقوب بن اسحاق ، ونقله عنه صاحب الأغانى ، قال يعقوب : كانت العرب تقر لقريش بالتقدم فى كل شيء إلا فى الشعر فإنها كانت لا تقر لها به حتى كان عمر بن أبى ربيعة فأقرت لها الشعراء ولم تنازعها شيئا .

وقال نصيب الشاعر لما سئل عن شعر عمر : « إن عمر أوصفنا لربات الجمال » . وأما جرير وهو أشد المنكرين على شاعريته ، فقد كان إذا سمع شعر

عمر يقول : هذا شعر تهامى إذا أنجد وجد البرد فلما سمع قوله :

رأت رجلا أما إذا الشمس عارضت
فيضحى وأما بالعشى فيخصر
قليلا على ظهر المطية ظله
سوى ما نفى عنه الرداء المحبر
واعجبها من عيشها ظل غرفة
وريان ملتف الحدائق أخضر . .
ووال كفاها كل شيء يهمها
فليس لشيء آخر الليل تسهر

قال جرير : ما زال هذا القرشي يهذى حتى قال الشعر . وجرير كما يبدو لنا لا يحب شعر الأغانى فلذلك تحامل على عمر ، فلما سمع من عمر قصيدته هذه ورأى اشراق الديباجة ومتانة الأداء عرف أن عمر لا يعجزه هذا اللون من الشعر فاقر له بالإجادة والتبريز .

وسمع أحد شيوخ الأدب من قريش قول عمر :

يا ليتنى قد أجزت الحبل نحوكمو
حبل المعرف أو جاوزت ذا عشر
إن الثواء بأرض لا أراك بها
فاستيقنيه ثواء حق ذى كدر
وما مللت ولكن زاد حبكمو
وما ذكرتك إلا ظلت كالسدر . .
ولا جزلت بشيء كان بعدكمو
ولا منحت سواك الحب من بشر

أذرى الدموع كذى سقم يخامره
وما يخامرنى سقم سوى الذكر

كم قد ذكرتك لو أجدى تذكركم
يا أشبه الناس ، كل الناس بالقمر

فقال هذا الشيخ القرشى : « إن لشعر عمر وقعا فى القلب ، ومخالطة للنفس ، ليسا لغيره ، ولو كان شعر يسحر لكان شعره سحراً » .

وقد قيل الشيء الكثير عن شعر عمر قديما مما لا تستوفيه مثل هذه المحاضرة .

أقوال النقاد المحدثين :

قد فتن النقاد القدامى بشعر عمر فقالوا عنه الشيء الكثير .

أما النقاد المحدثون فلم يكونوا مفتتنين بعمر كزملائهم القدامى فحسب بل هم أشد افتتانا به . وأكثر تقديراً لشعره . وإنى أنقل بعض ما قاله بعض أعلام الأدب والنقد المعاصرين فى شعر عمر . يقول الدكتور طه حسين فى كتابه (حديث الأربعاء) عند كلامه عن عمر :

« فعمر إذن زعيم الغزليين الأمويين جميعاً لا نستثنى منهم أحداً ، ولا نفرق فيهم بين أهل البادية وأهل الحاضرة . بل نذهب إلى أبعد من هذا فنزعم أن عمر ابن أبى ربيعة زعيم الغزليين فى الأدب العربى على اختلاف ظروفه وتباين أطواره منذ كان الشعر العربى إلى الآن » . هذا قول عميد الأدب العربى فى العصر الحديث عن شاعرنا الحجازى الخالد عمر بن أبى ربيعة ، وقارنه الدكتور طه بالأديب الأفرنسى « بيير لوتى » .

ويقول الأستاذ عباس محمود العقاد : فى كتابه (شاعر الغزل) عن عمر ابن أبي ربيعة : « وقد كان عمر إمام مدرسة اللاهين غير مدافع » ــ والأستاذ العقاد كما تعرفونه كثير الضن بالألقاب ــ ولكنه لم يضن على شاعرنا بلقب الإمامة .

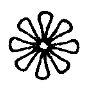
أما الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجة ، فقد امتلأت نفسه إعجابا بعمر وبشعر عمر . فأفرغ هذا الامتلاء فى كلمتين جامعتين ، فقال عنه فى كتابه (أعلام الأدب العربى) : « إنه عبقرى عظيم » .

ويقول الأستاذ جبرائيل جبور فى كتابه الضخم ، (عمر بن أبى ربيعة) :

« ولم يكن عمر شاعر قريش فحسب بل كان شاعر الحجاز فى عصره فى الغزل ، حمل لواء الشعر الغزلى ونشره ، ينشد الحب والجمال . وسار وراءه الشعراء الغزلون يقتفون آثاره ، فكان زعيمهم وكان إمامهم ، وكانت مدرسة غزلية خلّفت فى الأدب العربى أثرا قيما ، وحفظت للأجيال تراثا عظيما » .

وشبهه الدكتور أحمد ضيف « بألفريد دى موسيه » الأديب الأفرنسى . وقال عنه الدكتور شوقى ضيف ، فى كتابه (الشعر الغنائى فى الأمصار الإسلامية) : « عمر أكبر شاعر غنائى أنتجته حركة الغناء فى مكة » .

هذه بعض أقوال أعلام الأدب فى عصرنا الحديث عن عمر بن أبى ربيعة . ولم يشذ أحد منهم عن اعتبار عمر صاحب مدرسة ، وإمام طريقة مبتكرة فى الأدب العربى . وما زال الشعراء الغنائيون يحذون حذوه ويتلمسون طريقته ويسيرون على نهجه .. فهو خالد بخلود الأدب .



خلود عمر :

ولم يكن عمر بن أبى ربيعة خالداً بشعره القصصى والغزلى فحسب ، وإنما خلد بحكمه الروائع التى مازالت تدور على ألسنتنا عند مناسباتها . فمن أبياته الحية بحياة الناس قوله :

إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى
فكن حجراً من يابس الصخر جلمدا

وقوله :

إن كنت حاولت دنيا أو رضيت بها
فما أخذت بترك الحج من ثمن

وقوله :

تشط غداً دار جيراننا وللدار بعد غد أبعد

وقوله :

أيها المنكح الثريا سهيلا عمرك الله كيف يلتقيان ؟
هى شامية إذا ما استقلت وسهيل إذا استقل يمانى

وقوله :

ليت هندا أنجزتنا ما تعد وشفت أنفسنا مما نجد
واستبدت مرة واحدة إنما العاجز من لا يستبد

وقوله :

السر يكتمه الاثنان بينهما وكل سر عدا الاثنين ينتشر

وقوله :

كتب القتل والقتال علينا وعلى الغانيات جر الذيول

وقوله :

وذو الشوق القديم وإن تعزى مشوق حين يلقى العاشقينا

وغير هذه الأبيات مما جرى مجرى الأمثال ، بذلك وبغيره مما شرحناه خلد عمر فى الأدب العربى وفى الحياة العربية .

عمر الإنسان الفنان :

لقد تكلمت عن عمر الفتى المترف ، وعن عمر الشاعر الغزل ، بقى عليّ أن أتحدث إليكم أيها السادة عن عمر الإنسان لنرى هذا الرجل الذى ورث الغنى والشرف عن آبائه وأجداده ، وشغل نفسه بالنساء والشعر . هل كان إنسانا يشعر بآلام الإنسانية ؟ أو كان مغلق القلب والضمير ، لا يهمه إلا أمر نفسه ؟ وهى ناحية مهمة لابد لدارس عمر أن يعرف عنها شيئاً . ولا أريد أن أطيل عليكم فى ذلك ، وإنما أريد أن أنقل إليكم حكاية رواها أبو الفرج الأصفهانى فى أغانيه ، ومن هذه الحكاية نستشف ما كانت تنطوى عليه نفس عمر من خير أو شر . وقبل أن أسرد عليكم حكاية الأغانى أوجه أنظاركم إلى ما حدث لهذا الشاعر فى أواخر عمره ، فقد أجمع الرواة على أن عمر ترك الشعر وانصرف عن الغزل والتشبيب بالنساء إلى العبادة ، وآلى على نفسه ألّا يقول الشعر ، وإن قاله فسيعتق عن كل بيت يقوله رقبة .

أما ملخص الحكاية التى يرويها صاحبُ الأغانى ، فهى : أن عمر بعد أن نسك كان يطوف بالكعبة فوجد فتى عربيا يهامس فتاة فى المطاف ، فأنكر عمر عليه هذا الفعل ، وبخاصة إذا كان فى ظل الكعبة ، فقال له الفتى : إنها ابنة عمى ، فقال : ذاك مما يزيدنى إنكاراً عليك ومؤاخذة لك ، قال : إنى خطبتها من عمى فأبى إلا أن أدفع له أربعمائة دينار ، وأنا فقير لا أملك هذا المقدار من المال . فإن أردت أن تحسن إليّ وإليها فاذهب إلى عمى لعله أن يستحى

منك ، ويزوجنيها ، فذهب عمر إلى أبى الفتاة ، ودفع له الأربعمائة دينار ولم يبرح مكانه ، حتى رأى الفتاة تزف إلى الفتى .

فلما عاد إلى منزله ، كلمته جاريته فلم يرد عليها ، فقالت : والله لا أراك إلا قائلا شعرا . فانفجرت نفسه بهذه الأبيات :

تقول وليدتى لما رأتنى   طربت ، وكنت قد أقصرت حينا
أراك اليوم قد أحدثت شوقا   وهاج لك الهوى داء دفينا
وكنت زعمت أنك ذو عزاء   إذا ما شئت فارقت القرينا
بربك هل أتاك لها رسول   فشاقك ، أم لقيت لها خدينا ؟
فقلت : شكا إليَّ أخ محب   كبعض زماننا إذ تعلمينا
فقص عليَّ مايلقى بهند   فذكر ، بعض ما كنا نسينا
وذو الشوق القديم وإن تعزى   مشوق حين يلقى العاشقينا
وكم من خلة أعرضت عنها   لغير قلًى وكنت بها ضنينا
أردت بعادها فصددت عنها   ولو جن الفؤاد بها جنونا

ثم استدعى تسعة من رقيقه وأعتقهم لكل بيت واحد . وأظنكم متفقين معى أنها إنسانية مرفرفة وهذا يرينا فى عمر حقيقة الإنسان الفنان ، وهى التى دفعته إلى أن يضم هذه الفتاة إلى ابن عمها فى عش الزوجية الذى كانا يتمنيانه . ونستشف من الأبيات التى قالها مبلغ محاربته لنفسه فى اعتزال الشعر واعتزال النساء على شدة ما يلقى من جهد وعناء فى هذا السبيل ، ولكن إرادته القوية أبت عليه إلا أن يمضى فى توبته وفى نسكه .

أردت بعادها وصددت عنها   ولو جن الفؤاد بها جنونا

وعلى هذا النحو من النسك والمشاعر الانسانية وذكريات الفنان وحنينه انتهت حياة عمر .

شجاعة عمر :

أما شجاعة عمر فهى غير منكورة فقد كان يعتمد على سيفه عند المخاطر فهو يقول :

وطــــرقت الحى مكـــــتتما ومعــــى عضب به أثــــر
وأخ لم أخش نبوتــــــــه بخوافى أمرهـــــــــــم خبر

فكما تغنى عمر بحبه وبحسانه تغنى بسيفه ، وقد أكثر فى شعره من ذكر سيفه والتغنى به والاعتماد عليه عند المخاطر .

إباء عمر :

ويكفينا إذا أردنا أن نتحدث عن إبائه أنه لم يترام على أبواب الخلفاء ، ولم يمدحهم ولم يشره إلى نوالهم وإعطاءاتهم الضخمة المغرية . وكبرياؤه على الملوك على شدة رغبتهم فى مديح يسمعونه منه معروف ، وقد تقدم أن الوليد بن عبد الملك قال له : ما يمنعك من مدحنا ؟ فقال له عمر : إننى لا أمدح الرجال ، دون أن يتهيب مجلس الخليفة ، أو يداهنه فى سطوته وسلطانه .

أين مات عمر ؟ :

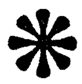
روى صاحب الأغانى أن عمر لما مرض مرضه الذى مات فيه جزع أخوه الحارث عليه جزعا شديداً ، فقال له عمر : أحسبك إنما تجزع لما تظنه بى ، والله ما أعلم أنى ركبت فاحشة قط ،فقال : ما كنت أشفق عليك إلا من ذلك وقد سليتَ عنى .

ويقول صاحب الأغانى فيما يرويه قال : أشرف عمر بن أبى ربيعة على أبى قبيس وبنو أخيه معه وهم محرمون ، فقال لبعضهم : خذ بيدى ، فأخذ بيده ،

فقال : « ورب البنية ــ يقصد الكعبة ــ ما قلت لامرأة شيئا قط لم تقله لى وما كشفت ثوبا عن حرام » . فاذا صحت هاتان الروايتان فيكون موت عمر بمكة لأن أخاه كان يقيم بها ولأن جبل أبى قبيس من جبال مكة ، كما هو معروف لديكم ، وعلى كل ، فإن عمر قد عمر طويلا ، وقد كثرت الأقوال عن سنه حين مات ، ولكنها فى جملتها لم تنقصه عن السبعين . . ولقد قضى عمر سنى حياته الشعرية كالطائر الغريد الذى لا ينتقل من دوحة إلا ليرف على بانة ، ولا يهبط من فنن إلا ليترع من جدول ، ولا يغادر غصنا إلا ليحوم على زهرة ، ولا يكاد يستظل فى خميلة حتى يثب إلى غيرها . ومن يقرأ ديوان عمر لايكاد يفرغ من قراءته إلا وهو ممتلىء صبا وصبوة ، ونشوة ، وربما رأى روح عمر الجميلة وهى تورده معها إلى مسارح أنسه ، وملاعب صبوته فى جنان الطائف ، أو فى شعاب مكة ، أو فى فى غابات النخيل بالمدينة أو بأودية الحجاز الشهيرة بجمالها حيث الوجوه الصباح ، والعيون الدعج ، والثغور المفلجة ، والجمال الساحر الأخاذ ، الذى هيمن على مشاعر عمر وأحاسيسه ، وأوحى إليه هذا الشعر الغنائى الخالد .

لقد كان عمر بسمة من بسمات الأدب العربى يتهلل بها وجه العروبة بشرا وانطلاقا .

رحم الله عمر وأسبغ على ضريحه شآبيب الرحمة والغفران . وإن الحجاز ليفخر بشاعره العظيم الذى شارك فى بناء الحضارة العربية بفنه الجميل ، وزود الأدب العربى بثروة فنية ضخمة ، لها مكانها فى دنيا الشعر والغزل والغناء ! !





مختارات من شعر عمر

صـــــورة

مبيتنـا جانب البطحـــاء من شرف
لحافنـا دون وقـع القطـر جلبــــاب
مبطـــن بكساء القــز ليس لنـــا
إلا الوليـــدة ، والنعــلين أصحــاب
ثم المطيـــــة بالبطحـــــــاء يضربها
واهى العرى من نجاء الدلو سكاب

أغنيـــة

تصابى القــــلب وادكـــــرا صباه ، ولم يكـــن ظهـــرا
لزيــــنب إذ تجد لنــــــا صفـــاء لم يكـــن كدرا
ألـــيست بالتــــى قالت لمولاة لهـــا ظهــــرا :
أشيرى بالسلام له إذا هو نحونـــا نظـــرا ؟
لقـــــد أرسلت جاريتــــى وقـــلت لها : خذى حذرا
وقــــولى فى ملاطفــــــة لزيــــنب : نَوِّلي عمـــــرا

فهـزت رأسهـا عجبـاً وقـالت : من بذا أمـرا ؟
أهـذا سحـرك ؟ النسـوا ن قـد خـبرنـى الخبـرا .
بطـرت ، وهكـذا الإنسـا ن ذو بطـر ، إذا ظفـرا

طبيـعة المرأة

خبروهـا بأننـى قد تزوجـ ـت ، فظلت تكاتم الغيظ سرا
ثم قالت لأختها ، ولأخـرى جزعـا ، ليتـه تزوج عشرا
وأشارت إلى نساء لديها لا ترى دونهن للسر سـتـرا
ما لقلبـى كأنـه ليس منـى وعظامى إخـال فيهن فتـرا ؟
من حديث نمى إليَّ فظيع خلت فى القلب من تلظيه جمرا

حتى فى النوم

أيا من كان لى بصرا وسمعا وكيف الصبر عن بصرى وسمعى
يجن بذكرهـا أبـداً فؤادى يفيض كما يفيض الغرب دمعى
يقول العاذلون : نأت فدعهـا وذلك حين تهيامـى وولعـى
أأهجرهـا ، وأقعـد لا أراهـا وأقطعها ، ومـاهمت بقطعـى ؟
وأقسم لو حلمت بهجر هند لضاق بهجرها فى النوم ذرعى

أليس كثيراً ؟ ؟ ؟

يلوموننـى فى غير جرم جنيتـه
وغيرى فى كل الـذى كان ألـوم
أمـنت أنـاساً أنتمـو تأمنـونهم
فزادوا علينـا فى الحديث وأوهموا

وقالوا لنا ما لم نقل ثم أكثروا
علينا ، وباحوا بالذى كنت أكتم
وقد كحلت عينى القذى لفراقكم
وعاد لها تهتانها فهى تسجم
فلا تصرمينى إن ترينى أحبكم
أبوء بذنبى ، إننى أنا أظلم
أليس كثيراً أن نكون ببلدة
كلانا بها ثاو ، ولا نتكلم ؟ ؟

الرجال فى نظر النساء

أبكيت من طرب أبا بشر ‏ وذكرت عثمة أيما ذكر
وهى التى لما مررت بها ‏ فى الطوف بين الركن والحجر
قالت حصان غير فاحشة ‏ فسمعت ما قالت ولم تدر
لمناصف خرد يطفن بها ‏ مثل الظباء يكدن بالسدر
هذا الذى يسبى الفؤاد ولا ‏ يكنى ، ولكن باح بالشعر
إن الرجال على تألفهم ‏ طبعوا على الإخلاف والغدر

لا خلاف فى هذا

ذات حسن إن تغب شمس الضحى
فلنا من وجهها عنها خلف
أجمع الناس على تفضيلها
وهواهم فى سوى هذا اختلف

رؤوس المنابر

رأين الغواني الشيب لاح بعارضي
فأعرضن عني بالخدود النواضر
وكن إذا أبصرنني أو سمعنني
سعين فرقعن الكوى بالمحاجر
فإن جمحت عني نواظر أعين
رمين بأحداق المها والجآذر
فإني من قوم كريم نجارهم
لأقدامهم صيغت رؤوس المنابر

الله غفور

ألا يا هند قد زودت قلبي
جوى حزن تضمنه الضمير
إذا ما غبت كاد إليك قلبي
ــ فدتك النفس ــ من شوق يطير
يطول اليوم فيه لا أراكم
ويومي عند رؤيتكم قصير
وقد أقرحت بالهجران قلبي
وهجرك فاعلمي أمر كبير
فديتك أطلقي حبلي وجودي
فإن الله ذو عفو ، غفور

كل شيء بقدر

أتحذر وشك البين أم لست تحذر ؟
وذو الحذر النحرير قد يتفكر . . .
ولست مُوَقًّى إن حذرت قضيـــــة
ولـيس مع المقـدار يكـــدى التهور

لا أخون الخليل

جن قلبى فقلت : يا قلب مهلا ... لا تبدل بالحلم ، والعزم جهلا
حلـفت أن ما أتاهـــا يقين ... قلت : لا تحلفى فديتك كلا
أسأل الله من بداك بصرم ... أن يرى فى الحياة ــ ما عاش ــ ذلا
فاتّقي الله ، واقبلى العذر منى ... وتجافى عن بعض ما كان زلا
لم أرحب بأن سخطت ولكن ... مرحبا أن رضيت عنا وأهلا
وجهك الوجه لو به تسأل المز ... ن من الحسن والجمال استهلا
وأسيـل من الوجـــوه نضير ... دقّ فيه حسن الجمال وجلا
إننـــى بالسلام منك لراض ... وأرى ذاك من نوالك جزلا
لا أخون الخليل ما عشت حتى ... ينقل البحـر بالغرابيـل نقـلا
ثم قالت : لا تعلمـن بسرى ... يا ابن عمى أقسمت ، قلت : أجل لا
إن أكنِ قد سأيتكم فلك العتـ ... بى ، وهان الذى سألت وقلا
من أراد الفجور فى الود منا ... ضرب الله فى ذراعيـه غلا
حدثينى فدتك نفسى وأهلى ... أتحبيننـــى كحـــبك عدلا ؟
إن فى الصرم راحة من عناء ... ونعم فى الجواب أحسن من لا

الحب يعمى

قالت — وأبثثتها سرى وبحت به — :
قد كنت عنديَ تحتَ الستر فاستتر
ألست تبصر من حولى ؟ فقلت لها :
غطى هواك ، وما ألقى على بصرى



من عادة رابطة الأدب الحديث أن تنقد وتعلق على المحاضرات التى تلقى بقاعتها . وهذا تعليق الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجة وكيل الرابطة على هذا البحث .

دراسة ونقد

عمر بن أبى ربيعة شاعر الحجاز الكبير فى القرن الأول للهجرة ، أطرف شخصية أدبية فى الأدب العربى القديم ، وحياته وشعره صورة فنية متميزة للحياة العربية فى بيئة الحجاز فى أزهى عصوره الإسلامية .

وما أجمل الحديث عن عمر وأعذبه ، عمر شاعر الغزل القصصى ، وزعيم مدرسة الغزليين فى هذا العهد ، وسلالة الأشراف من قريش ، والذى عاش لا يهجو ولا يمدح وإنما ينظم فى فنه الشعرى الجديد قصائده وآياته ، الجديد حقا فى الشعر العربى ، الذى كان له فضل ابتداعه ، والحياة من أجله ، والدعوة إليه ، ومن ثم نال شعره اهتمام الأدباء والنقاد والدارسين فى القديم والحديث ، اهتماما لم ينله الكثير من الشعراء الأقدمين .

وإذا كان حديث الباحثين عن عمر موضع عناية الأدباء واهتمام القراء فإن الحديث عن عمر من شاعر أديب حجازى معاصر يجعل لبحثه أهمية كبيرة فوق أهمية الموضوع نفسه .

ومن ثم فرحت فرحا كثيرا عندما دعوت الشاعر الحجازى المجدد الأستاذ إبراهيم هاشم الفلالى ليحاضرنا ، عن عمر فى حلقات رابطة الأدب الحديث فى القاهرة ؛ وفرحت أكثر من فرحى الأول عندما قدم لى الكتاب فى آخر مراحل

طبعه لأسجل ما وجه إلى بحثه من نقد ليلة إلقائه فى ندوة الرابطة الأدبية ، وإنى لأضع بحث شاعرنا الفلالى عن شاعر الحجاز الخالد فى صدر مكتبة عمر الأدبية والفكرية والاجتماعية ، وبنفسية شاعر كان يعيش فى هذه البيئة ويتأثر بها ، ويتجاوب معها .

ومن هذه الزاوية اندفع الفلالى الشاعر فى صدر كتابه يصور منهجه فى كتابه للقراء : « ستجد[1] أيها القارىء العربى المسلم قطعة من تاريخنا أقدمها لك فى محاضرة ألقيت فى رابطة الأدب الحديث بالقاهرة ؛ وسوف تجد فى تضاعيف الحديث عن هذا الشاعر الحجازى تطورات المجتمع فى فترة من تاريخ موطننا — الحجاز — الذى قام بنشر الدعوة الإسلامية ؛ وسوف ترى كيف تطورت حياة المجتمع الحجازى ، ولعلك تجد شبها بين تطوره فى ذلك العهد وتطوره فى العهد الحاضر ؛ ولعلك أيضا تلمس كيف استطاعت العبقرية الحجازية قديما أن تستفيد وتفيد من ذلك التطور ؛ فتسهم فى بناء الحضارة من الناحية الفنية ، ومن الناحية الفقهية ، وكيف ترك تفوق آبائك الحجازيين الفنى فى الشعر والغناء والموسيقى وابتكارهم فى هذه الفنون وسبقهم الشعوب العربية كلها أثرا خالدا مازال عصرنا متأثرا به تأثرا غير منكور » .

ويلتفت الفلالى الشاعر إلى أهمية بحثه عن عمر فيقول بعد قليل من كلامه الأول : « ولعلك واجد فى محاضرتى شيئا لم تجده فيما قرأته عن عمر فى كل ما كتب عنه »[2] .

ومن ثم تحدث المؤلف عن عصر عمر ومجتمعه ، والأسباب المختلفة التى أدت لذيوع موجة الغناء والمرح فى الحجاز فى عصر عمر ، من سياسية واجتماعية وسوى ذلك ، ثم تحدث عن عشيرة عمر وأسرته ، وعن مولده ونشأته ، بيد أن المؤلف يوجز إيجازا شديدا فى حديثه عن نشأة عمر ، وما كان أحراه بأن يطيل

---

(١) ص ١٤ وما بعدها .　　(٢) ص ١٦

كل الإطالة ، وأن يفيدنا الفائدة كلها ، الفائدة التى لا تترقب مثلها إلا من مثل شاعرنا الفلالى فى جلده على البحث وفى ذكائه وألمعيته . ويتحدث المؤلف عن صداقات عمر وصحبه ، وانتقاله إلى مكة ، ويدفع عن عمر ما يلصقه به الجاهلون من الكتّاب ، فيذكر لنا أن عمر « قد عرف لنفسه مكانتها ، فلم يتبذل فى شعره ، ولم يرنا فحشا فى الكثرة الكاثرة مما نظم »[1] ..

وينتهى المؤلف الشاعر الفلالى من هذه الجوانب كلها ، ليبتدىء حديثا عذبا جميلا عن شعر عمر ، وما أدق وصفه لشعره بأنه كان « مذكرات يومية يسجل فيها حياته[2] الخاصة » ، وما أطرف الجوانب الغامضة التى كشف عنها الفلالى فى كتابه من حياة عمر وشخصيته وشاعريته وغزله وآراء النقاد فيه القدامى والمحدثين منهم ، ومكانته فى الشعر الحجازى ، وحكمه الكثيرة فى شعره . ويتكلم عن عمر الإنسان الفنان وعن خلقه وأين مات ؟ وعن غير ذلك من شتى الموضوعات .

ومع ذلك فإن حديث الفلالى عن شاعرية عمر حديث موجز يلائم طبيعة الوقت والظروف التى كتب بتأثيرها محاضرته .

ولكنى مع هذا الإيجاز الشديد الذى لجأ إليه المؤلف ، أعتقد أن قارىء هذا الكتاب الصغير الحجم ، يخرج بصورة عن شخصية عمر لا يخرج بها حينما يقرأ كل ما كتبه الأدباء والدارسون عن عمر وحياته .

وهناك آراء متعددة فى الكتاب لها سمتها من الطرافة وروعة التصوير .

ومع ذلك فإنى أزعم أن الفلالى لم يفرغ بعد من عمر ، وأن عليه واجبا أدبيا كبيرا لتراثنا الخالد من الأدب العربى ، هو أن يعاود الكتابة عن عمر وشخصيته وشعره ، عندما تسمح له أحواله الأدبية والفكرية بذلك .

---

(١) ص ٣٨ (٢) ص ٤١

إننى أهنىء الفلالى بدراسته ، وأهنىء الأدب العربى بهذا الكتاب الصغير الحجم ، الكبير فى طرافته وروعته وقيمته .

محمد عبد المنعم خفاجي

أسئلة

— لماذا غمرت الحجاز موجة من الترف واللهو فى عصر بنى أمية ؟

— لماذا كان عمر بن أبى ربيعة زعيما للغزل الغنائى حتى بذّ غيره من الشعراء ؟

— ما هو الأثر الذى تركه حكم الأمويين فى مواهب الحجازيين وملكاتهم ونفسياتهم ؟

— ماهو المنهج السياسى الذى وضعه الأمويون لسياسة الحجاز دون غيره من الأمصار ؟

— كيف كانت نظرة الحجاز إلى خلفاء بنى أمية ؟

— لماذا قصر عمر غزله على نساء الطبقة الشريفة المترفة ؟

— كيف كان النساء المترفات يتعرضن لعمر ؟ ويسرهن غزله فيهن ، ولماذا لم يخترن شاعراً غير عمر ؟

هذه أسئلة تجد أجوبتها فى هذا الكتاب ، يجيب عليها أجوبة صحيحة ممتعه..مفيدة ، بما لم يتعرض له أحد ممن كتبوا عن عمر بن أبى ربيعة .



فهرست



إصدارات تهامة للنشر والمكتبات

سلسلة : الكتاب العربي السعودي

صدر منها :

العنوان	المؤلف
• الجبل الذي صار سهلا (نفد)	الأستاذ أحمد قنديل
• من ذكريات مسافر	الأستاذ محمد عمر توفيق
• عهد الصبا في البادية (قصة مترجمة)	الأستاذ عزيز ضياء
• التنمية قضية (نفد)	الدكتور محمود محمد سفر
• قراءة جديدة لسياسة محمد علي باشا (نفد)	الدكتور سليمان بن محمد الغنام
• الظمأ (مجموعة قصصية)	الأستاذ عبدالله عبدالرحمن جفري
• الدوامة (قصة طويلة)	الدكتور عصام خوقير
• غداً أنسى (قصة طويلة) (نفد)	الدكتورة أمل محمد شطا
• موضوعات اقتصادية معاصرة	الدكتور علي بن طلال الجهني
• أزمة الطاقة إلى أين ؟	الدكتور عبدالعزيز حسين الصويغ
• نحو تربية إسلامية	الأستاذ أحمد محمد جمال
• إلى ابنتي شيرين	الأستاذ حمزة شحاتة
• رفات عقل	الأستاذ حمزة شحاتة
• شرح قصيدة البردة	الدكتور محمود حسن زيني
• عواطف إنسانية (ديوان شعر) (نفد)	الدكتورة مريم البغدادي
• تاريخ عمارة المسجد الحرام (نفد)	الشيخ حسين عبدالله باسلامة
• وقفة	الدكتور عبدالله حسين باسلامة
• خالتي كدرجان (مجموعة قصصية) (نفد)	الأستاذ أحمد السباعي
• أفكار بلا زمن	الأستاذ عبدالله الحصين
• كتاب في علم إدارة الأفراد (الطبعة الثانية)	الأستاذ عبدالوهاب عبدالواسع
• الإبحار في ليل الشجن (ديوان شعر)	الأستاذ محمد الفهد العيسى
• طه حسين والشيخان	الأستاذ محمد عمر توفيق
• التنمية وجها لوجه	الدكتور غازي عبدالرحمن القصيبي
• الحضارة تحد (نفد)	الدكتور محمود محمد سفر
• عبير الذكريات (ديوان شعر)	الأستاذ طاهر زمخشري
• لحظة ضعف (قصة طويلة)	الأستاذ فؤاد صادق مفتي
• الرجولة عماد الخلق الفاضل	الأستاذ حمزة شحاتة
• ثمرات قلم	الأستاذ محمد حسين زيدان
• بائع التبغ (مجموعة قصصية مترجمة)	الأستاذ حمزة بوقري
• أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة (تراجم)	الأستاذ محمد علي مغربي
• النجم الفريد (مجموعة قصصية مترجمة)	الأستاذ عزيز ضياء
• مكانك تحمدي	الأستاذ أحمد محمد جمال
• قال وقلت	الأستاذ أحمد السباعي
• نبض	الأستاذ عبدالله عبدالرحمن جفري
• نبت الأرض	الدكتورة فاتنة أمين شاكر
• السعد وعد (مسرحية)	الدكتور عصام خوقير

العنوان	المؤلف
• قصص من سومرست موم (مجموعة قصصية مترجمة)	الأستاذ عزيز ضياء
• عن هذا وذاك (الطبعة الثانية)	الدكتور غازي عبدالرحمن القصيبي
• الأصداف (ديوان شعر)	الأستاذ أحمد قنديل
• الأمثال الشعبية في مدن الحجاز (نقد)	الأستاذ أحمد السباعي
• أفكار تربوية	الدكتور ابراهيم عباس نتو
• فلسفة المجانين	الأستاذ سعد البواردي
• خدعتني بحبها (مجموعة قصصية)	الأستاذ عبدالله بوقس
• نقر العصافير (ديوان شعر)	الأستاذ أحمد قنديل
• التاريخ العربي وبدايته (الطبعة الثانية)	الأستاذ أمين مدني
• المجاز بين اليمامة والحجاز (الطبعة الثانية)	الأستاذ عبدالله بن خميس
• تاريخ الكعبة المعظمة (الطبعة الثانية)	الشيخ حسين عبدالله باسلامة
• خواطر جريئة	الأستاذ حسن بن عبدالله آل الشيخ
• السنيورة (قصة طويلة)	الدكتور عصام خوقير
• رسائل إلى ابن بطوطة (ديوان شعر)	الأستاذ عبدالله عبدالوهاب العباسي
• جسور إلى القمة (تراجم)	الأستاذ عزيز ضياء
• تأملات في دروب الحق والباطل	الشيخ عبدالله عبدالغني خياط
• الحمى (ديوان شعر)	الدكتور غازي عبدالرحمن القصيبي
• قضايا ومشكلات لغوية	الأستاذ أحمد عبدالغفور عطار
• ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة	الأستاذ محمد علي مغربي
• زيد الخير	الأستاذ عبدالعزيز الرفاعي
• الشوق إليك (مسرحية شعرية)	الأستاذ حسين عبدالله سراج
• كلمة ونصف	الأستاذ محمد حسين زيدان
• شيء من الحصاد	الأستاذ حامد حسن مطاوع
• أصداء قلم	الأستاذ محمود عارف
• قضايا سياسية معاصرة	الدكتور فؤاد عبدالسلام الفارسي
• نشأة وتطور الإذاعة في المجتمع السعودي	الأستاذ بدر أحمد كريم
• الإعلام موقف	الدكتور محمود محمد سفر
• الجنس الناعم في ظل الإسلام	الشيخ سعيد عبدالعزيز الجندول
• ألحان مغترب (ديوان شعر) (الطبعة الثانية)	الأستاذ طاهر زمخشري
• غرام ولادة (مسرحية شعرية) (الطبعة الثانية)	الأستاذ حسين عبدالله سراج
• سير وتراجم (الطبعة الثالثة)	الأستاذ عمر عبدالجبار
• الموزون والمخزون	الشيخ أبوتراب الظاهري
• لجام الأقلام	الشيخ أبوتراب الظاهري
• نقاد من الغرب	الأستاذ عبدالله عبدالوهاب العباسي
• حوار .. في الحزن الدافيء	الأستاذ عبدالله عبدالرحمن جفري
• صحة الأسرة	الدكتور زهير أحمد السباعي
• سباعيات (الجزء الثاني)	الأستاذ أحمد السباعي
• خلافة أبي بكر الصديق	الشيخ حسين عبدالله باسلامة
• البترول والمستقبل العربي (الطبعة الثانية)	الأستاذ عبدالعزيز مؤمنة
• إليها .. (ديوان شعر)	الأستاذ حسين عبدالله سراج
• من حديث الكتب (ثلاثة أجزاء) (الطبعة الثانية)	الأستاذ محمد سعيد العامودي
• أيامي	الأستاذ أحمد السباعي

• التعليم في المملكة العربية السعودية (الطبعة الثانية)	الأستاذ عبدالوهاب عبدالواسع
• أحاديث وقضايا إنسانية	الدكتور عبدالرحمن بن حسن النفيسة
• البعث (مجموعة قصصية)	الأستاذ محمد علي مغربي
• شمعة ظمأى (ديوان شعر)	الدكتور أسامة عبدالرحمن
• الإسلام في نظر أعلام الغرب (الطبعة الثانية)	الشيخ حسين عبدالله باسلامة
• حتى لا نفقد الذاكرة	الأستاذ سعد البواردي
• مدارسنا والتربية (الطبعة الثالثة)	الأستاذ عبدالواهاب عبدالواسع
• وحي الصحراء (الطبعة الثانية)	الأستاذ عبدالله بلخير الأستاذ محمد سعيد عبدالمقصود خوجه
• طيور الأبابيل (ديوان شعر) (الطبعة الثانية)	الأستاذ ابراهيم هاشم فلالي
• قصص من تاغور (ترجمة)	الأستاذ عزيز ضياء
• التنظيم القضائي في المملكة العربية السعودية	الأستاذ حسن بن عبدالله آل الشيخ
• زوجتي وأنا (قصة طويلة)	الدكتور عصام خوقير
• معجم اللهجة المحلية في منطقة جازان	الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي
• عمر بن أبي ربيعة	الأستاذ ابراهيم هاشم فلالي

تحت الطبع:

• ماما زبيدة (مجموعة قصصية)	الأستاذ عزيز ضياء
• عام ١٩٨٤ لجورج أورويل (قصة مترجمة)	الأستاذ عزيز ضياء
• وجيز النقد عند العرب	الأستاذ عبدالله عبدالوهاب العباسي
• هكذا علمني ورد زورث	الشيخ أبوعبدالرحمن بن عقيل الظاهري
• الطاقة نظرة شاملة	الدكتور عبدالهادي طاهر
• رجالات الحجاز (تراجم)	الأستاذ ابراهيم هاشم فلالي
• لا رق في القرآن	الأستاذ ابراهيم هاشم فلالي
• من مقالات عبدالله عبدالجبار	الأستاذ عبدالله عبدالجبار
• الاسلام فى معترك الفكر	الشيخ سعيد عبدالعزيز الجندول
• إليكم شباب الأمة	الشيخ سعيد عبدالعزيز الجندول
• لن تلحد	الشيخ أبوعبدالرحمن بن عقيل الظاهري
• سرايا الإسلام	الشيخ أبوتراب الظاهري
• حكاية جيلين	الدكتور عبدالله حسين باسلامة
• في رأيي المتواضع	الدكتور غازي عبدالرحمن القصيبي
• البرق والبريد والهاتف وصلتها بالحب والأشواق والعواطف	الأستاذ عبدالرحمن المعمر
• من أوراق	الأستاذ محمد سعيد العامودي
• التنمية قضية (الطبعة الثانية)	الدكتور محمود محمد سفر
• قراءة جديدة لسياسة محمد علي باشا (الطبعة الثانية)	الدكتور سليمان بن محمد الغنام
• غداً أنسى (قصة طويلة) (الطبعة الثانية)	الدكتورة أمل محمد شطا
• تاريخ عمارة المسجد الحرام (الطبعة الثانية)	الشيخ حسين عبدالله باسلامة
• خالتي كدرجان (مجموعة قصصية) (الطبعة الثانية)	الأستاذ أحمد السباعي
• الحضارة تحد (الطبعة الثانية)	الدكتور محمود محمد سفر
• الجبل الذي صار سهلا (الطبعة الثانية)	الأستاذ أحمد قنديل
• ديوان حسين عرب	الأستاذ حسين عرب

سلسلة :

الكتاب الجامعي

صدر منها :

- الإدارة : دراسة تحليلية للوظائف والقرارات الإدارية — الدكتور مدني عبدالقادر علاقي
- الجراحة المتقدمة في سرطان الرأس والعنق (باللغة الإنجليزية) — الدكتور فؤاد زهران، الدكتور عدنان جمجوم، الدكتور محمد عيد
- النمو من الطفولة إلى المراهقة — الدكتور محمد جميل منصور، الدكتور فاروق سيد عبدالسلام
- الحضارة الإسلامية في صقلية وجنوب إيطاليا — الدكتور عبدالمنعم رسلان
- النفط العربي وصناعة تكريره — الدكتور أحمد رمضان شقلية
- الملامح الجغرافية لدروب الحجيج — الأستاذ سيد عبدالمجيد بكر
- علاقة الآباء بالأبناء (دراسة فقهية) — الدكتورة سعاد ابراهيم صالح
- مباديء القانون لرجال الأعمال — الدكتور محمد ابراهيم أبوالعينين
- الاتجاهات العددية والنوعية للدوريات السعودية — الأستاذ هاشم عبده هاشم
- قراءات في مشكلات الطفولة — الدكتور محمد جميل منصور
- شعراء التروبادور (ترجمة) — الدكتورة مريم البغدادي
- الفكر التربوي في رعاية الموهوبين — الدكتور لطفي بركات أحمد
- النظرية النسبية — الدكتور عبدالرحمن فكري، الدكتور محمد عبدالهادي كامل
- أمراض الأذن والأنف والحنجرة (باللغة الإنجليزية) — الدكتور أمين عبدالله سراج، الدكتور سراج مصطفى زقزوق
- المدخل في دراسة الأدب — الدكتورة مريم البغدادي
- الرعاية التربوية للمكفوفين — الدكتور لطفي بركات أحمد
- أضواء على نظام الأسرة في الإسلام — الدكتورة سعاد ابراهيم صالح
- الوحدات النقدية المملوكية — الدكتور سامح عبدالرحمن فهمي
- الأدب المقارن (دراسة في العلاقة بين الأدب العربي والآداب الأوروبية) — الدكتور عبدالوهاب علي الحكمي
- هندسة النظام الكوني في القرآن الكريم — الدكتور عبدالعليم عبدالرحمن خضر
- التجربة الأكاديمية لجامعة البترول والمعادن — الدكتور خضير سعود الخضير

تحت الطبع :

- المنظمات الاقتصادية الدولية — الدكتور حسين عمر
- الاقتصاد الاداري — الدكتور فرج عزت
- التعلم الصفي — الدكتور محمد زياد حمدان
- الاقتصاد الصناعي — الدكتور سليم كامل درويش
- مبادىء الأحصاء — الدكتور جلال الصياد، الاستاذ عادل سمره
- مبادىء الطرق الاحصائية — الدكتور جلال الصياد، الدكتور عبد الحميد محمد ربيع

سلسلة :

رسائل جامعية

صدر منها :

العنوان	المؤلف
• صناعة النقل البحري والتنمية في المملكة العربية السعودية (باللغة الإنجليزية)	الدكتور بهاء حسين عزّي
• الخراسانيون ودورهم السياسي في العصر العباسي الأول	الأستاذة ثريا حافظ عرفة
• الملك عبدالعزيز ومؤتمر الكويت	الأستاذة موضي بنت منصور بن عبدالعزيز آل سعود
• العثمانيون والإمام القاسم بن علي في اليمن	الأستاذة أميرة علي المداح
• القصة في أدب الجاحظ	الأستاذ عبدالله باقازي
• تاريخ عمارة الحرم المكي الشريف	الأستاذة فوزية حسين مطر
• النظرية التربوية الإسلامية	الأستاذة آمال حمزة المرزوقي
• نظام الحسبة في العراق.. حتى عصر المأمون	الأستاذ رشاد عباس معتوق
• المقصد العلي في زوائد أبي يعلي الموصلي (تحقيق ودراسة)	الدكتور نايف بن هاشم الدعيس
• الجانب التطبيقي في التربية الإسلامية	الأستاذة ليلى عبدالرشيد عطار
• الدولة العثمانية وغربي الجزيرة العربية	الأستاذ نبيل عبدالحي رضوان
• دراسة ناقدة لأساليب التربية المعاصرة في ضوء الإسلام	الأستاذة فتحية عمر حلواني
• الحياة الاجتماعية والاقتصادية في المدينة المنورة في صدر الإسلام	الأستاذة نورة بنت عبدالملك آل الشيخ
• دراسة اثنوغرافية لمنطقة الإحساء (باللغة الانجليزية)	الدكتور فايز عبدالحميد طيب
• عادات وتقاليد الزواج بالمنطقة الغربية من المملكة العربية السعودية (دراسة ميدانية انثروبولوجية حديثة)	الأستاذ أحمد عبدالاله عبدالجبار
• افتراءات فيليب حتي وكارل بروكلمان على التاريخ الإسلامي	الأستاذ عبدالكريم علي باز
• دور المياه الجوفية في مشروعات الري والصرف بمنطقة الإحساء بالمملكة العربية السعودية (باللغة الإنجليزية)	الدكتور فايز عبدالحميد طيب
• تقويم النمو الجسماني والنشوء	الدكتورة ظلال محمود رضا

تحت الطبع :

العنوان	المؤلف
• الطلب على الإسكان من حيث الاستهلاك والاستثمار (باللغة الإنجليزية)	الدكتور فاروق صالح الخطيب
• العقوبات التفويضية وحكمة تشريعها في ضوء الكتاب والسنة	الدكتور مطيع الله دخيل الله اللهيبي
• العقوبات المقدرة وحكمة تشريعها في ضوء الكتاب والسنة	الدكتور مطيع الله دخيل الله اللهيبي
• تطور الكتابات والنقوش في الحجاز منذ فجر الإسلام وحتى منتصف القرن الثالث عشر	الأستاذ محمد فهد عبدالله الفعر
• التصنيع والتحضر في مدينة جدة	الأستاذة عواطف فيصل بياري



صدر منها :

- حارس الفندق القديم (مجموعة قصصية) — الأستاذ صالح ابراهيم
- دراسة نقدية لفكر زكي مبارك (باللغة الانجليزية) — الدكتور محمود الشهابي
- التخلف الإملائي — الأستاذة نوال عبدالمنعم قاضي
- ملخص خطة التنمية الثالثة للمملكة العربية السعودية — إعداد إدارة النشر بتهامة
- ملخص خطة التنمية الثالثة للمملكة العربية السعودي (باللغة الانجليزية) — إعداد إدارة النشر بتهامة
- تسالي (من الشعر الشعبي) (الطبعة الثانية) — الدكتور حسن يوسف نصيف
- كتاب مجلة الأحكام الشرعية على مذهب الإمام أحمد بن حنبل الشيباني — الشيخ أحمد بن عبدالله القاري
  (دراسة وتحقيق) — الدكتور عبدالوهاب إبراهيم أبوسليمان، الدكتور محمد إبراهيم أحمد علي
- النفس الإنسانية في القرآن الكريم — الأستاذ إبراهيم سرسيق
- واقع التعليم في المملكة العربية السعودية (باللغة الإنجليزية) (الطبعة الثانية) — الدكتور عبدالله محمد الزيد
- صحة العائلة في بلد عربي متطور (باللغة الإنجليزية) — الدكتور زهير أحمد السباعي
- مساء يوم في آذار (مجموعة قصصية) — الأستاذ محمد منصور الشقحاء
- النبش في جرح قديم (مجموعة قصصية) — الأستاذ السيد عبدالرؤوف
- الرياضة عند العرب في الجاهلية وصدر الإسلام — الدكتور محمد أمين ساعاتي
- الاستراتيجية النفطية ودول الأوبك — الأستاذ أحمد محمد طاشكندي
- الدليل الأبجدي في شرح نظام العمل السعودي — الدكتور عاطف فخري
- رعب على ضفاف بحيرة جنيف — الأستاذ شكيب الأموي
- العقل لا يكفي (مجموعة قصصية) — الأستاذ محمد علي الشيخ
- أيام مبعثرة (مجموعة قصصية) — الأستاذ فؤاد عنقاوي
- مواسم الشمس المقبلة (مجموعة قصصية) — الأستاذ محمد علي قدس
- ماذا تعرف عن الأمراض ؟ — الدكتور اسماعيل الهلباوي
- جهاز الكلية الصناعية — الدكتور عبدالوهاب عبدالرحمن مظهر
- القرآن وبناء الإنسان — الأستاذ صلاح البكري
- اعترافات أدبائنا في سيرهم الذاتية — الأستاذ علي عبده بركات
- الطب النفسي معناه وأبعاده — الدكتور محمد محمد خليل
- الزمن الذي مضى (مجموعة قصصية) — الأستاذ صالح ابراهيم
- مجموعة الخضراء (دواوين شعر) — الأستاذ طاهر زمخشري
- خطوط وكلمات (رسوم كاريكاتورية) (الطبعة الثانية) — الأستاذ علي الخرجي
- ديوان السلطانين — الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي
- الامكانات النووية للعرب وإسرائيل — الدكتور صدقة يحيى مستعجل
- رحلة الربيع — الأستاذ فؤاد شاكر
- وللخوف عيون (مجموعة قصصية) — الأستاذ أحمد شريف الرفاعي
- البحث عن بداية (مجموعة قصصية) — الأستاذ جواد صيداوي
- الوحدة الموضوعية في سورة يوسف — الدكتور حسن محمد باجودة
- المجنونة اسمها زهرة عباد الشمس (ديوان شعر) — الأستاذة منى غزال

- **من فكرة لفكرة** (الجزء الأول) — **الأستاذ مصطفى أمين**
- رحلات وذكريات — الأستاذ عبدالله حمد الحقيل
- ذكريات لا تنسى — الأستاذ محمد المجذوب
- تاريخ طب الأطفال عند العرب — الدكتور محمود الحاج قاسم

تحت الطبع :

- قراءات في التربية وعلم النفس — الأستاذ فخري حسين عزّي / الدكتور لطفي بركات أحمد
- الأسر القرشية .. أعيان مكة المحمية — الأستاذ أبو هشام عبدالله عباس بن صديق
- الحجاز واليمن في العصر الأيوبي — الدكتور جميل حرب محمود حسين
- ملامح وأفكار — الأستاذ أحمد شريف الرفاعي
- المذاهب الأدبية في شعر الجنوب — الدكتور علي علي مصطفى صبح
- النظرية الخلقية عند ابن تيمية — الدكتور محمد عبدالله عفيفي
- الكشاف الجامع لمجلة المنهل — الأستاذ عبدالله سالم القحطاني
- ديوان حمام — الأستاذ محمد مصطفى حمام
- رحلة الأندلس — الدكتور حسين مؤنس
- فجر الأندلس — الدكتور حسين مؤنس
- قريش والاسلام — الدكتور حسين مؤنس
- الماء ومسيرة التنمية — الأستاذ مصطفى نوري عثمان
- الدفاع عن الثقافة — الدكتور عبدالعزيز شرف
- الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث — الأستاذ مصطفى عبداللطيف السحرتي
- مشكلات لغوية — الدكتور شوقي النجار
- مشكلات بنات — الأستاذ أحمد شريف الرفاعي
- دليل مكة السياحي — إعداد تهامة للنشر والمكتبات
- **من فكرة لفكرة** (الجزء الثاني) — **الأستاذ مصطفى أمين**

كتاب الناشئين

صدر منها :

مجموعة: وطني الحبيب

- جدة القديمة — الأستاذ يعقوب محمد اسحق
- جدة الحديثة — الأستاذ يعقوب محمد اسحق

مجموعة: حكايات ألف ليلة وليلة :

- السندباد والبحر — الأستاذ يعقوب محمد اسحق

- الديك المغرور والفلاح وحماره — الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
- الطاقية العجيبة — الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
- الزهرة والفراشة — الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
- سلمان وسليمان — الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
- زهور البابونج — الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
- اليد السفلى — الدكتور محمد عبده يماني / الأستاذ يعقوب محمد اسحق
- سنبلة القمح وشجرة الزيتون — الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
- نظيمة وغنيمة — الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
- جزيرة السعادة — الأستاذة فريدة محمد علي فارسي
- الحديقة المهجورة — الأستاذة فريدة محمد علي فارسي

كتاب للأطفال

صدر منها :

- الصرصور والنملة — الأستاذ عمار بلغيث
- السمكات الثلاث — الأستاذ عمار بلغيث
- النخلة الطيبة — الأستاذ اسماعيل دياب
- الكتكوت المتشرد — الأستاذ عمار بلغيث
- المظهر الخادع — الأستاذ عمار بلغيث
- بطوط وكتكت — الأستاذ اسماعيل دياب

مجموعة : لكل حيوان قصة — للأستاذ يعقوب محمد اسحاق

- القرد • الكلب • السلحفاة • الأسد • الحمار الأهلي • الفرس • الغزال • الوعل • الضفدع
- الضب • الغراب • الجمل • البغل • الفراشة • الدجاج • الحمار الوحشي • الجاموس • الدب
- الثعلب • الأرنب • الذئب • الفأر • الخروف • البط • الببغاء • الحمامة • الخرتيت
- البوم • البجع • الهدهد • الكنغر • الخفاش • النعام • فرس النهر • التمساح

مجموعة : حكايات كليلة ودمنة — إعداد : الأستاذ يعقوب محمد اسحاق

- عندما أصبح القرد نجارا
- الغراب يهزم الثعبان
- أسد غررت به أرنبَ
- المكاء التي خدعت السمكات

تحت الطبع

- لقد صدق الجمل
- الكلمة التي قتلت صاحبتها
- سمكة ضيعها الكسل
- قاض يحرق شجرة كاذبة

مجموعة : التربية الإسلامية — للأستاذ يعقوب محمد اسحاق

- الله أكبر • الصــلاة • صلاة المسبوق • الشهادتان • التيمم
- قد قامت الصلاة • الاستخارة • صلاة الجمعة • أركان الإسلام • الوضــوء
- الصـــوم • صلاة الجنازة • صلاة الكسوف والخسوف

مجموعة : حكايات للأطفال — ينقلها إلى العربية الأستاذ عز يز ضياء

- سعاد لا تعرف الساعة
- الحصان الذي فقد ذيله
- تورتة الفراولة
- ضيوف نار الزينة
- الضفدع العجوز والعنكبوت
- الكؤوس الفضية الاثنتا عشر
- سرحانة وعلبة الكبريت
- الجنيات تخرج من علب الهدايا
- السيارة السحرية
- كيف يستخدم الملح في صيد الطيور

تحت الطبع

- الأرنب الطائر
- معظم النار من مستصغر الشرر
- لبنى والفراشة
- ساطور حمدان
- وأدوا الأمانات إلى أهلها

كتب صدرت باللغة الانجليزية

Books Published in English by Tihama

- Surgery of Advanced Cancer of Head and Neck.

  By: F.M. Zahran
  A.M.R. Jamjoom
  M.D.EED
- Zaki Mubarak: A Critical Study.
  By Dr. Mahmud Al Shihabi
- Summary of Saudi Arabian
  Third Five Year Development Plan
- Education in Saudi Arabia, A Model with Difference Second Edition
  By Dr. Abdulla Mohamed A Zaid
- The Health of the Family in A Changing Arabia
  By Dr. Zohair A. Sebai
- Diseases of Ear, Nose and Throat

  By: Dr. Amin A. Siraj
  Dr. Siraj A. Zakzouk
- Shipping and Development in Saudi Arabia
  By: Dr. Baha Bin Hussein Azzee
- Tihama Economic Directory.
- Riyadh Citiguide.
- Banking and Investment in Saudi Arabia.
- A Guide to Hotels in Saudi Arabia.
- Who,s Who in Saudi Arabia.
- An Ethnographic Study of Al-Hasa Region of Eastern Saudi Arabia
  By: Dr. Faiz Abdelhameed Taib
- The Role Of Groundwater In The Irrigation And Drainage Of

  The Al Hasa Of Eastern Saudi Arabia

  By: Dr. Faiz Abdelhameed Taib


مطابع سحر